جامعــة دميـــاط

كليــــــة الآداب

قسم اللغة العربية

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبوالخير

الخبير الدولى في اللغة العربية

دراسات في علم اللغة والتراكيب العربية

الناشر - المؤلف

Abu_elkhey@yahoo.com

01227202286

١٤٣٧ هـ

٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مجموعة من الدراسات وصفناها ووضعناها في علم اللغة والتركيب نهديه إلي أبنائنا الأعزاء في الفرقة الرابعة تلبية لرغبتهم وإلحاحهم، الدراسة الأولي جاءت بعنوان: الإعراب والأرقام والرياضيات والنحو، طرف طريقة في عربية بني يعرب) كانت محاولة لمحاكمة دستور اللغة العربية، الذي جاء في ٧٥ مادة بالكمال والتمام شرحن فيما فوق الألف من الصفيحات جئن في سبع حليقات متواليات، وسوف نستمر في هذا المشروع ، أي محاولة محاكمة هذا الدستور، فأما الدراسة الثانية فكانت بعنوان (أثر حرف الجر في دلالة الفعل في القرآن الكريم..) والدراسة الأخيرة :

(فامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلي الكعبين ، دراسة في القراءات واللغة...)

وهاتان الدراستان الأخيرتان وإن لم تكونا في محاكمة الدستور إلا أنهما كانتا خطئوات في طريق الدستور، سيما الأولي منهما والتي خلصت إلي أن حرف الجر لاتنحصر وظيفته في الأثر الإعرابي فقط ، بل يمتد إلي دلالة الجملة وتراكيبها رافضين رفضا تاما وباتا مقولة التضمين ، أي تضمين الفعل معاني أخر، بل إن حرف الجر هو الذي غير الدلالة وحولها ، وليس التضمين،هذي الدراسة نشرت في دورية كلية الآداب جامعة طنطا ١٩٩٩م .

فأما الدراستان الأخريان فقد نشرت الأولى في مجلة اللسان العربي الدولية عام٢٠١٥ ، أما الآخرة (فامسحوا برءوسكم...) فقد نشرت في عام ٢٠٠٧ ثم ترجمت إلي اللغة الفارسية ، ونشرت في صحيفة بذات اللغة.

تحياتي لأبنائي في الفرقة الرابعة مع خالص ضراعاتي بالتوفيق والسداد.

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفي أبوالخير

الخبير الدولي في اللغة العربية

١١مارس٢٠١٦م

الإعراب والأرقام والرياضيات والنحو
طُرف طريفة في عربية بني يعرب

تقدمة

بعد فراغي من كتابة دستور اللغة العربية الذي شرح في سبعة أجزاء سطرتها في أربعة أعوام دأبا دأبا ، ثم نشرت المواد فقط معطلة عن شروحهن ، وقد وصلن خمسا وسبعين مادة ، في عشرين صفيحة ، أرسلتها إلى بعض الجهات المهتمة بعربية بني يعرب ، على رأسهن مجمع اللغة العربية بقاهرة المعز ، قلعة العربية وحاضرتها الأبية الثائرة.

وقد تفضل نائب رئيس مجمع الخالدين ، وهو كاتب مبدع مفلق في حب العربية والعمل في محرابها ، إنه الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف أحد فرسان العربية في عرينها دار العلوم ، وسأضع صورة لرسالة سيادته إلى صاحب دستور العربية.

على أية حال فإني سريعا مهرولا حادرا إلى مشروع آخر ، حيث سأركز على محاكمة هذا الدستور والاحتكام إليه ، إذ برغم يقيني المطمئن إلى ما قلت في الدستور لكني مصرّ إصرارا على مراجعة كل مادة في الدستور ، فالماء يكذب الغطاس من ذياك النوع المدعي بغير دليل يطمأن إليه.

وشاءت إرادة ربي أن يقع اختياري على مختار الصحاح [1] ، واهلا واهلا - متخيلا - أن أكتب عن موضوع ما له وجهان أو أكثر في العربية لأحاكم ما له وجهان إلى الدستور.

---

(١) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) وهو منسوب إلى (الري) تيك المدينة القديمة التي أصبحت جزءا من مدينة طهران العاصمة ، وقد نسب إليها عديد من العلماء البارزين فسموا بالرازي ، منهم صاحب مختار الصحاح.

وللمفاجأة الصاعقة المصعقة أن هذا المعجم الذي يعد صغير الصفيحات - حوالي ستمائة صفيحة - من الحجم الصغير قياسا - مثلا مثلا - إلى تاج العروس للزبيدي (ت١٢٠٤هـ) في طبعته الكويتية فقط فقط أربعون مجلدا من القطع الكبير ، لا يسطيع حمل الجزء الواحد منه إلا يدان لرجل من العصبة أولي القوة والعزم.

أما لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) فإنه في طبعته البولاقية وقع في عشرة آلاف صفحة فقط ؟ فقط.

هذا المعجم المحدود الصفيحات اللاتي تجاوزن المئين بقليل القليل يحتوي على كثير من القضايا اللغوية المهمة جدا بل البالغة الأهمية ، وسوف أتحف القارئ بموسوعة كبيرة من الدراسات التي تطل تباشيرها الأولى ، فنبدأ بهذي الدراسة حول :

الإعــراب

والأرقــام

والرياضيــــات

والنحــو

حيث أبدأ دراستي هذي بطرفة طريفة وملحة مليحة ، لقد قرأت في مادة (س ت ت) ما يلي :

تقول : عندي ستة رجال ونسوة ، بالجر ، أي ثلاثة رجال وثلاثة نسوة ، فإن قلت : عندي ستة رجال ونسوةٌ - بالرفع - كان عندك ستة رجالٍ ، وكان عندك نسوة أخر ، وكذا كل عدد احتمل أن يفرد منه جمعان مما زاد عن الستة ، فلك فيه الوجهان.

فأما إذا كان عدد لا يحتمل أن يفرد منه جمعان كالخمسة والأربعة والثلاثة فالرفع لا غير ، تقول : عندي خمسة رجال ونسوة ، ولا يكون للجر مساغ ، قال الأزهري [1] : وهذا قول جميع النحويين.

انتهى ما قبسنا من مختار الصحاح ، وهو ما نجده في مادة (س ت ت) فما القص والحكى والحكاية ، مهلا على قارئاه ـ يرحمك الله ـ لكن شرط أن تقرأ هذي العبارة المقتبسة قراءة متأنية متمهلة وسأسعفك في الصفيحات التاليات : بالقصة والحكي والحكاية بتفصيل يجلي هذي الملحة الطريفة في لغيتنا العربية التي تجعلني أتية فخرا على غيرها من اللغيات إلى يوم الدين.

ولو كنت شاعرا ، للقريض قارضا لقلت هنا القصائد الطويلات ، بل الدواوين المطولات المسهبات المطنبات.

عندي ستة رجالٍ ونسوةٌ

برفع نسوة أو بجرها

عندي خمسة رجالٍ ونسوةٌ

برفع نسوة وليس بجرها

إذا قلت ـ يا رعاك الله ـ عند ستة رجالٍ ونسوةٍ ، بجر نسوة كان عندك = ٣ رجال + ٣ نسوة = ٦ نصفهم رجال ، ونصفهم الآخر نساء.

فإذا قلت : عندي ستة رجالٍ ونسوةٌ ، برفع نسوة ، كان هذا ـ أو كان عندك ـ ستة رجال ، إضافة إلى نسوة أخريات خارجات غير داخلات في عدد هؤلاء الستة ،

---

(١) أبو منصور الأزهري توفي ٣٧٠ هـ ، ذات السنة التي مات فيها أبو عبد الله بن خالويه.

أي = ٦ رجال + نسوة أخريات.

وهكذا العدد ٦ فأكثر ، يحتمل الأمرين والشيئين ، ٧ أو ٨ إلى ما شاء الله ، إلى ما شاء ، فإن قلت ـ يا رعاك مولاك ـ إن قلت عندي تسعة رجال ونسوةٌ ـ بالرفع ـ كان عندك تسعة رجال إضافة إلى نسوة أخريات ، أو آخرين ، أي = ٩ رجال + نسوة أخر.

فإن قلت : عندي تسعة رجالٍ ونسوةٍ ، فإن هذا = ٥ رجال + ٤ نسوة = ٩ ، أو على العكس ٥ نسوة + ٤ رجال = ٩ ، أو كما انتوي المتكلم أو الكاتب.

لماذا أو لمَ ولمه ؟ لأن العدد ٦ يحتمل جمعين ٣ + ٣ = ٦ ، إذ أقل الجمع ـ يا طويل العمر والعنق ـ كما هو المشهور المعروف ثلاثة ، لا أقل البتة ، إذ ٢ = مثنى ، ١ = مفرد ، وكذا ما زاد عن ٦ من الأعداد إلى ما شاء صاحب المشيئة ، رب السماوات والأرضين.

ومن هنا ـ يا طويل العنق ـ فإن قل العدد عن ٦ فقد هذي السمة ، إذ ما عاد يحتمل جمعين ، بل قصاراه ومنتهاه جمع واحد ، ليس إلا ، فإن قلت ـ يا سيد السادات ـ عندي خمسة رجال ونسوة ، أو أربعة رجال ونسوة ، أو ثلاثة رجال ونسوة كان عندك رجال فقط ، والباقي نسوة ، ومن هنا كان الإعراب لنسوة هو الرفع ، فقط فقط فقط.

أرأيت لغة تدقق هذي الدقة حتى تصل درجة الرياضيات في الدقة اللامتناهية ، إذ اختلاف الإعراب كان نتيجة دقة رقمية رياضية ، ليست فوضى ، لا سبهللة ، فالعربية براء من هذا براءة الذئب من دم الصديق ، ابن يعقوب ، واختلاف الإعراب إنما يأتي لمبرر قوي معقول مقبول ، هذا مثال فقط ، وفي جعبتي يا قارئي عديد من

أمثلة سأسردها لك.

ومن عجب سيدي القارئ أن هذا المثال عندي ستة رجال ونسوة ، ليس في المختار وصحاحه فقط ، بل في عديد من معاجم العربية كما أطلعني على هذا موقع (جلجل [١]) أو جوجل ، وقد عجبت لهذا ، فإني ما سمعت بهذا المثال من أحد من علماء العربية المحدثين ، ولا أحد باحثيها ، فلله الأمر من قبل ومن بعد !!.

لكن تذكر عزيزي القارئ أن العدد لا يجب أن يكون من الرجال ومن النسوة ، لكن ينطبق على كل مذكرين ومؤنثات ، إذ لك أن تقول :

- عندي سبعة مدرسين ومدرسات ، ٢/١ مدرسون ، ونصف مدرسات.
- عندي سبعة مدرسين ومدرساتٌ = ٧ مدرسين + مدرسات أخريات.

فإن قلت عندي خمسة مدرسين ومدرساتٌ ، بالرفع فقط ، ولا يصح الجر البتة ، أي عندي خمسة مدرسين ، ومدرسات أخر ، وهكذا دواليك.

ولنذكر - عزيزي القارئ - هذا الشيخ الذي يمتحن أحد تلامذته غير النبهاء ، كيف تعرب : ضرب سعيد سعدا ، قال يا مولانا : لو قلت : ضرب زيد عمرا ، لكانت عمرا مفعولا به ، وكانت زيد فاعلا ، بعض المبجلين من أعلام النحو المعاصرين يصر على بقاء : (ضرب زيد عمرا) واستخدام :

- ضرب ومشتقاتها.
- زيد.
- عمرو.

---

(١) يطلق المصريون (جلجل) لتدليل من اسمه (جلال) كما يطلقون (درش) على مصطفى ، ويطلقون على من اسمه حسن كنية ، هي أبو علي ، فيقولون (حسن أبو علي).

في كل الأمثلة التي سلفت ، قال تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً [1]) ويصر الزميل الكريم على أن هذي رموز تراثية لا يصح عنها تنازل أو تهاون.

لكن ما قلت ـ يا كاتباه ـ مثال واحد ، وأقول يا قارئاه : عندي في الجعبة غيره ـ يا سيداه ـ وهو :

١ـ جاء في مختار الصحاح ، مادة : (ح ج ج) :

امرأة حاجة ونسوة حواجُ ، بيت الله بالإضافة ـ إن كن حججن بالفعل ، وإن لم يكن قد حججن قلت : حواج بيتَ الله ، بنصب البيت ؛ لأنك تريد التنوين في : حواج ، إلا أنه لا ينصرف.

كما تقول : هذا ضاربُ زيد أمس ، وضاربٌ زيدا غدا ، فتدل بحذف التنوين من ضارب على أنه قد ضربه ، وبإثباته على أنه لما يضربه.

انتهى ما قبسناه عن مختار الصحاح ، فما معنى ما سبق ؟ المعنى أن العربية فرقت بين التعبيرين في الجملتين.

- نسوة حواج بيت الله : بإضافة بيت إلى حواج ، وعليه انجرت وانخفضت كلمة (بيت) وبالكسرة.
- نسوة حواج بيت الله ؛ بيت مفعول به منصوب ، ليست مضافة إلى (حواج) كما في الجملة على تيك الجميلة.

---

(١) ٨٤ ، الإسراء.

انظر - يا قارئاه يا عزيزاه - كيف فرقت العربية بنظرها الحاد الحديد بين الجملتين ، بهذا الإعراب لكلمتي (حواج - بيت) في الجملة الأولى لقد حججن بالفعل ، وقد عبرت العربية ببصرها وبصيرتها النافذة عن هذه الحالة بالإضافة ، إضافة بيت إلى كليمة (حواج).

في حين عبرت عن الحالة الأخرى ، أي أن الحج لم يتم ، أو لما يتم ، ولكنه سوف يتم ، في هذي الحالة عبرت العربية عن تيك الحالة بغياب الإضافة بين كلمتي (حواج - بيت) ومن هنا كانت كليمة (بيت) غير منضافة إلى ما سبقها ، ومن ثم أعربت مفعولا به ، والمعنى في الجملتين :

- نسوة - حواج بيت الله بالإضافة جاء المعنى : حججن بيت الله ، أو هن بالفعل بالفعل حججن بيت الله ، حج بالفعل ، لا بالقوة.
- نسوة حواج بيتَ الله ، الحج لم يتم ، حج بالقوة ، ليس بالفعل ، الحج لم يتم ، أو لما ... ، وإنما سوف يكون ويتم في المستقبل.

وهكذا لم يأت اختلاف الإعراب لعبا ولهوا ، إنما جاء فرقا وتمييزا بين حج تم بالفعل ، وحج سوف يكون ، أي بالقوة ، تماما كما فرق الإعراب بين :

- ستة رجالٍ ونسوةٌ = ٦ رجال + نسوة أخريات.
- ستة رجالٍ ونسوة = ٣ رجال + ٣ ثلاث.

وهكذا دواليك ، وهلم هلم جرا.

لكن صاحب المختار من الصحاح أشار إلى نقيطة مهمة ، إنها التنوين في : (نسوة حواج بيت الله) بما أن الإضافة غابت عن الكلمتين ، ولذا نصبت كليمة (بيت)

فأين التنوين ـ يا رعاك الله ـ ؟ يقول لنا صاحب المختار " إن كليمة : حواج ممنوعة من الصرف في الأصل ومن المنبع ، ولذا غاب عنها التنوين برغم غياب الإضافة.

وإمعانا في الشرح والإيضاح جاء الرازي بمثال آخر ، جاء المضاف مصروفا منونا ، هو :

- هذا ضاربُ زيد أمس.
- هذا ضاربٌ زيدا غدا.

في الحالة الأولى ضُرب زيد بالأمس ، لقد ضُرب بالفعل ، وقد أكد هذا استخدام ظرف الزمان (أمس) والذي وكّد بشكل وكيد أن الضرب كان وتم بالفعل ، لا بالقوة.

وفي الحالة الثانية ما كان ضرب ولا تم ، لكنه كان بالقوة ، لا بالفعل ، وكد هذا أيضا استخدام ظرف الزمن (غدا) أي في المستقبل الآتي القادم ، سوف يضرب المسكين المسكين زيد.

ومن هنا فإن الإعراب في جملتي : (ضارُب زيد ـ ضاربٌ زيدا) قد فرق بين حالتين ، الأولى ضرب بالفعل ، لا بالقوة ، والثانية ضرب بالقوة ، لا بالفعل ، كما فرق الإعراب بين جملتي : (حواجُ بيتِ الله ـ حواجٌ بيتَ الله) لقد ميز الإعراب بين حَج تم بالفعل ، وحِج سوف يتم ، أي حج بالقوة ، وليس بالفعل.

٢- الفعل ظن : إذا كان بمعنى (شك) نصب مفعولين ، كما في : (ظننت الجو حارا ـ ظن البدوي السراب ماء) لكن ذياك الفعل لو كان بمعنى (اتهم) نصب مفعولا واحدا ، لا مفعولين ، كما في : (كسر الزجاج فظننا الغلام) أي : اتهمنا ، وذاك أن الظن يحتمل الشيئين وأكثر ، في حين اتهم لا يناسبه إلا متهم واحد ، أو

مفعول واحد ، أو جهة واحدة ، منطق وبداهة.

هذه هي العربية منطقية ذات بديهة فاهمة واعية ، تميل إلى البداهة ، والاتساق مع نفسها وفي قواعدها.

٣- في قوله تعالى : (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ [١]) : قرئت كليمة (وأرجلكم) بثلاث قراءات ، الأولى الجر ، أي : (وأرجلِكم) على اعتبار أن المعطوف عليه (رءوسكم) مجرور ، ولذا جاء المعطوف (وأرجلكم) مجرور أيضا ، والمعنى والتقدير : وامسحوا برءوسكم وبأرجلكم ، وهكذا.

وقرئت : (وارجلكم) بالنصب ، على أساس أن الباء في (برءوسكم) زائدة ، وعليه فالمعنى والتقدير : وامسحوا رءوسكم وأرجلكم ، فبما أن المعطوف عليه ، أي (رءوسكم) منصوب - ولو محلا - فإن المعطوف (أرجلكم) أيضا منصوب.

وقد نظرت في عدد من قرأ بنصب [٢] اللام في (وأرجلكم) فكانوا نصف من قرأ بالجر ، فقد قرأ بخفض اللام أكثر من تسعة من القراء الأربعة عشر ، في حين قرأ واحد بالرفع فقط ، هو الحسن البصري (ت١١٠هـ) ، وهو وإن كانت قراءته شاذة لا يصح القراءة بها في الصلاة وخارج الصلاة ، إلا أن القراءة الشاذة هي حجة من الناحية اللغوية ، أو وبمعنى آخر يصح الاستشهاد بها ، كما فعل وسار علماء العربية.

لأن القراءة الشاذة ليست مردودة ، مكذوبة على سيدي رسول الله (ﷺ) وإنما فقدت شرطا من شروط القراءة الصحيحة ، وهي :

---

(١) ٦ ، المائدة.

(٢) راجع الإتحاف ، ص١٩٨.

- صحة السند.
- موافقة الرسم العثماني.
- موافقة قواعد العربية.

على أي حال فإن القراءة بالجر - وهي الأكثر - لها وجه في المعنى ، وكذا القراءة بالنصب ، بل حتى القراءة بالجر - برغم أنها شاذة - لها من المعنى نصيب أيضا ، أيضا.

ففي قراءة النصب التقدير ، أو تقدير المعنى :

- وامسحوا رءوسكم وامسحوا أرجلكم ← بما أن الباء في (برءوسكم) زائدة فإن المعنى (وامسحوا رءوسكم ...) ، هذي قراءة النصب.
- وامسحوا برءوسكم وبأرجلكم ← في قراءة (أرجلكم) بالجر ، فبما أن المعطوف عليه مجرور ، وهو (برءوسكم) فإن المعطوف أيضا مجرور ، أي : (... برءوسكم وبأرجلكم) بجر : رءوسكم وأرجلكم.
- وامسحوا برءوسكم ، وأرجلكم ← في قراءة الرفع ، أي وأرجلكم ممسوحة أيضا ، وهكذا.

منطق وبداهة في العربية لا يغيبان عنها ، بعيدا عن الفوضى والسبهللة ، وهكذا عربية بني يعرب.

٤- أكلت السمكة حتى رأسها : حتى هذا المثال الذي يتسلى به بعض المتغامزين لينقلبوا إلى أنفسهم ضاحكين فكهين ، حيث يعرب وينطق بالشكل الآتي :

أ - أكلت السمكة حتى رأسَها ، بفتح السين في (رأسها).

ب- أكلت السمكة حتى رأسِها ، بكسر السين.

ج- أكلت السمكة حتى رأسُها ، بضم السين.

في (أ) حتى عاطفة ، بمعنى الواو ، أي أكلت السمكة ورأسها أيضا أكلت أو بمعنى آخر : أكلت السمكة ، وأكلت رأسها ، إذ الأكل هنا تساوي تماما تماما ، بين السمكة وبين رأسها.

وفي (ب) حتى جارة تفيد الغاية ، إنها بمعنى (إلى) كما في آية (سلام هي حتى مطلع الفجر [1]) إلى مطلع الفجر ، وعليه فإن (أكلت السمكة حتى رأسها) بالجر تفيد أن الآكل أكل السمكة كلها ، لكن إلى رأسها ، فالرأس لم يؤكل ، بل كان غاية ونهاية للأكل ، فالمعنى : (أكلت السمكة إلى رأسها) التي عندها توقف الأكل ، فبقيت الرأس سليمة من الأكل ، ومنه أعفيت فنجت.

لكن في (ج) أكلت السمك حتى رأسُها ، بضم السين ، حتى استئنافية ، أي : أكلت السمكة ، ورأسها مأكول أيضا ، فما بعد الاستئناف مبتدأ وخبر ، جملة مستأنفة ، وهي جملة اسمية ، وعليه فإن العطف فيه تساوٍ بين أكل السمكة ، وبين أكل رأسها ، في حين نجد في الاستئناف تشديد على أكل الرأس ، وبمعنى آخر فإن الآكل شغف بالسمكة فأكلها ، حتى أكل معها الرأس أيضا.

٥- الاسم الواقع بعد الواو : في مثل : (استيقظت والفجر) ذكر النحاة لهذا الاسم ثلاثة إعرابات :

أ - وجوب النصب : متى هذا الوجوب ؟ إذا امتنع أن يشارك هذا الاسم - بعد الواو - في إحداث الفعل ، وهنا يعرب على أنه مفعول معه والواو للمعية ، ففي مثل :

---

(١) ٥ ، القدر.

(استيقظت والفجر - سرت والنيل) لا نجد الفجر ، ولا النيل يمكن أن يشاركا الفاعل في الفعل ألبتة.

(ب) جواز النصب : لكن الاسم بعد الواو قد يصاحب الفاعل في فعله ، وربما لا يصاحبه ، فإن قصدت - أو قصد المتكلم - المصاحبة كان النصب لذياك الاسم الواقع بعد الواو ، وكانت الواو للمعية ، وإلا كانت الواو للعطف ، فأعرب ما بعد الواو إعراب ما قبلها ، كيف ؟ تقول : جاء رئيس الجامعة ونائبيه ، إذا قصدت المصاحبة ، أي جاء الريس بمعية نائبيه ، وهنا تكون للمعية والمصاحبة.

فإن جاء النائبان وحدهما ، غير مصاحبين للريس في المجيء ، بل أتيا في وقت آخر كانت الواو للعطف ، وليس للمعية - المصاحبة فتقول : جاء رئيس الجامعة ونائباه ، ما بعد الواو معطوف على ما قبلها.

(ج) امتناع النصب : أي على أنه مفعول معه ، وذاك إذا وجب أن يشارك ما قبل الواو ما بعدها ، نحو : (اشترك الطالب والأستاذ) إذا الاشتراك والتنازع لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر ، ولذا لا تكون الواو - فيما سبق - مطلقا البتة للمعية - أو المصاحبة - ومن ثم لا ينصب ما بعد الواو بتة بتة مفعولا معه ، وإنما يتبع ما قبله في إعرابه رفعا أو نصبا أو جرا ، وهلم جرا.

انظر كيف فرقت العربية بين حالات الواو والاسم الواقع بعدها من وجوب المعية ، أو جوازها ، أو امتناعها ، ولم تسو مطلقا بين تيك الحالات ، هي لغة منطقية بدهية ، دقيقة دقة الرياضيات ، اختلاف الإعراب فيها جاء لمبررات معقولة

مقبولة ، ليس كما يتصور بادي الرأي قد جاءت من صنعة النحاة المتهافتة المتهلهلة ، أو سببها الفوضى والسبهللة والبعد عن النظام ومنطق الأشياء.

٦- كان التامة وكان الناقصة : وهي طرفة أخرى من طرف العربية نختم بها هنا - يا قارئاه - حديثا عن اختلاف الإعرابات الذي افتتحناه بـ (عندي ستة رجالٍ ونسوةٍ) أو (ونسوةٌ) فنقول :

كان التامة : ترفع الاسم الذي يليها على أنه فاعل ، كما في قوله تعالى في سورة البقرة [1] : (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) في قراءة الرفع ، وكذا في (كن فيكون) حيث إن معنى كان التامة (وجد أو انوجد).

أما كان الناقصة - وكذا مشتقاتها - فتنصب الخبر وترفع المبتدأ (الاسم) كما في قراءة : (وإن كان ذا عسرة [2]) فلماذا كانت ناقصة هنا ، وكانت تامة هنالكا ؟ إنها تامة عندما تعبر عن الوجود الأول ، الأصلي المطلق ، في الحديث القدسي : (كان الله ، ولا شيء معه) هذا الوجود الأول ، ولكن الوجود الطارئ المتجدد المتفرع ، أو الصفات التي تتفرع عن هذا الوجود الأول فهو من اختصاص كان الناقصة ، تلك التي تفرعت عن الصفة الأهم والأساس - أي الوجود مطلقا - مثل : (إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً [3] رَّحِيماً - فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً [4] - إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً [5]) من سورة النساء ، كل هذا الصفات المتفرعات لم تك لتظهر لولا الوجود الأول : (كان الله ولا شيء معه).

(١ ، ٢) الآية ٢٨٠.
(٣) الآية ٢٣.
(٤) ١٤٩.
(٥) ١١.

وقد أفاض الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ في بعض أحاديثه في شرح الفروق بين كان التامة وبين كان الناقصة ، وكذا في الاستشهاد عليهما من السنة والقرآن ، وقد اقتبسنا ما سبق من تيك الأحاديث الشعراوية.

ونختم الحديث عن الإعرابات وتوجيهاتها ، والمنطق الظاهر من كل وجه إعرابي مطروح ، وندخل الآن في الألفاظ الدالة على الإعداد ، والأرقام ، ليس من واحد إلى ما شاء الله ، مئون وألوف وملايين ومليارات ... الخ !!.

إذن ماذا تقصد ؟ أقصد ما عدا ما سبق ، مثل ماذا ؟ عندي الكثيرمن تيك الأمثلة ، إذن هاتها يا صاح :

١- **نبدأ بكتاب من كتب الفقه ، وفي باب الزكاة قرأنا :**

أ ـ زكاة البقر :

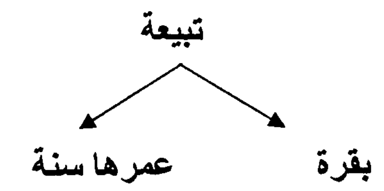
وكذا الجاموس إن بلغ عددها ثلاثين سائمة ـ غير معلوفة ـ وحال عليها الحول ففيها تبيع أو تبيعة ، ماله من العمر سنة ، فإن وصل العدد أربعين ففي زكاتها مسنة ، لها من العمر [١] سنتان ...

عندنا إذن لفظتان تدلان على العدد ، هما :

- التبيع والتبيعة : البقرة التي زاد عمرها عن سنة ، أو كان عمرها سنة ، وعليه فاللفظة : تبيع تدل على أمرين ، هما : بقرة ـ أو جاموسة ـ ولها من العمر سنة ، هكذا :

---

(١) راجع فقه السنة للشيخ سيد سابق ٣/٨٠.



وهكذا نوع من الاختصار ، يدخل في عبقرية العربية ، بدل أن تقول العربية بقرة واحدة ، نقول مختصرة مختزلة للكلمتين (بقرة واحدة) إلى تبيعة - وهكذا في تبيع - تماما كما حدث للمثنى بدل كلمتين كما في Two powers تقول العربية : (قوتين) أو (قوتان) وهو ما نجده في لغيتنا فقط ، وأقول هذا على عهدتي وأتحدى من يقول بغير هذا ، تماما تماما كما في التصغير بدلا من (كتاب صغير - رجال صغير - نار صغيرة) تقول : (كتيِّب - رجيل - نويرة) وانظر إلى عبقرية العربية لقد راعت التأنيث في تصغير كلمة (نار) فأضافت التاء في التصغير ، وهذا دأب العربية دوما.

ولكن قل لي - يا كاتب السطور - من نبأك بهذا ، من قال لك ذينك الكلام ؟ وأقول لك - يا رعاك الله - تعجب معي غاية العجب ، بل وأعجب ما شاء الله لك أن تعجب أن قائل هذا هو رئيس وزراء الصين الأسبق (شوين لاي) !! توفي عام ست وسبعين [1] من القرن الماضي.

ولكن قل لي - بالله عليك - يا كاتباه : في أية مناسبة ذكر (شوين لاي) ما سبق ؟ لقد قال ما سبق أمام طلاب المرحلة الثانوية عندما جمعهم في إستاد مدينة شنغهاي حيث قام فيهم خطيبا ، وفي خطبته هذه بشرهم بأن الصين - وعما قريب - ستصبح

(١) توفي ٨ يناير ١٩٧٦م عن ٧٨ عاما.

دولة كبرى وقوة عظمى ، وفي هذه الحالة سوف يتحتم علينا أن نخاطب الأمم والشعوب ، فبأية لغة أو لغات نخاطبهم ، هل نخاطبهم باللغات الاستعمارية الأوربية ـ مثل الفرنسية والهولندية والإنجليزية ـ ؟؟ كلا ، هذا عار علينا وعلى هذي الشعوب ، ولكن الصح والصحيح أن تخاطب كل أمة بلغتها ، أجاب الرجل.

وفي لفتة إلى العربية أراد رئيس الوزراء أن يلفت نظر طلابه الذين يتهيئون لدخول الجامعة إلى لغتنا العربية ، هذا رأي المسئول الكبير في الصين ، وواضع السياسة اللغوية في بلده في عربية بني يعرب ، فما رأي العرب أنفسهم في لغتهم ؟.

ولذا نجحت الصين في إقامة علاقات تجارية ضخمة مع العالم العربي ومع كافة الشعوب والأمم ، فقد ذكرت لي سفيرة الصين في بيروت ـ عام ٢٠٠٦ ـ على هامش مؤتمر للترجمة أن التجارة مع أقطار بني يعرب ـ ٢٣ دولة ـ وصلت ٤٠٠ مليار دولار في السنة ، بل ذكر أحد المسئولين الصينيين أنه لا يوجد بيت في العالم ـ أو حجرة من البيت ـ لا يوجد فيها منتج صيني من أي نوع.

يقول لك القارئ : صدقت ـ يا كاتب السطور ـ فيما نقلت عن المسئول الصيني الذي رسم خريطة السياسة اللغوية للصين وقد تبعتها دول أخرى مثل ماليزيا التي تحاول أن تخاطب كل أمة بلغتيها ، خاصة بني يعرب.

ولكن ـ يا كويتب السطور ـ ولكن ما ذكرت عن تبيع هو ـ يا سيداه ـ مثال واحد ، ليس إلا !! لا تعجل عليّ ـ أخيّ ـ عندي لك في جعيبتي ـ تصغير جعبة ـ كثير من الأمثلة ، أذكر لك منها ـ سيدي القارئ ـ ما يلي مما جاء في النص السابق الذي قبسناه من سيد سابق :

- مسنة ، وهذه اللفيظة (مسنة) هي اختصار لجميلة : بقيرة - أو جميسة - لها من العمر سنتنان ، هي عربية بني يعرب ، الاختصار سمة مهمة من سماتها الرئيسة الركيزة الركينة ، هي لغة شاعرة - كما وصفها العلامة العقاد - ومن سمات الشعر الرئيسة الاختصار والتركيز ، وبطبيعة الحال مع الإفهام والإيضاح وشديد الوضوح ، بلا لبس ولا غموض.

جدير ذكره أن المصريين يسمون صغار البقر من الذكور (العجل) والمؤنث (عجلة) بكسر العين ، لا بفتحها ، في حين يسمون صغار الجاموس من الذكور (فحل) مؤنثة (فحلة) وهذا نوع من الاختصار أيضا والتخصيص ، إنهم يقولون : (عجلة) بدل : بقرة صغيرة ، ويقولون : (فحلة) بدل : جاموسة صغيرة ، أولهما من العمر كذا ، وهكذا.

ولكن - يا كويتب السطور - تيك أمثلة قليلة لا تنقع الغُلة ، ولا تروي من ظمأ ، نعم عندي أمثلة أخرى ، وهذا نص آخر من كتاب السيد السابق [1] :

ب - زكاة الإبل :

إذا بلغت خمسا وعشرين سائمة - غير معلوفة ولا مدجنة ، ولا مرباة في مزارع ، ففي زكاتها (بنت مخاض) وهي التي هي سنة واحدة ، ودخلت في الثانية ، أو ابن لبون (ذكر) وهو الذي له سنتان ، ودخل في الثالثة ، فإذا بلغت ٣٦ ففيها ابن لبون ، وفي ست وأربعين حُقة ، وهي التي لها ٣ سنوات ، ودخلت في الرابعة ، وفي ٦١ جَذَعة ، وهي التي لها ٤ سنوات ، ودخلت في الخامسة.

---

(١) ص٧٧.

انتهت كلام الشيخ السابق ، وأعقب فأقول : الآن - قارئيَ الأكارم - وجدت لك خمسة أمثلة ، هي : (بنت مخاض - ابن لبون - ابنة لبون - حُقة - جذعة) أفصل الكلام عنها فيما يلي :

- بنت مخاض : ناقة لها من العمر سنة ، أو أكثر من سنة ، أي أن العربية اختصرت هذا التعبير على بنت مخاض.
- ابن لبون : تعبيرا عن : (جمل عمره أكثر من سنتين) ابنة لبون ناقة عمرها أكثر من سنتين.
- حُقَّة : أي ناقة عمرها أكثر من ٣ سنوات.
- جَذعة : ناقة عمرها أكثر من ٤ سنوات.

وبرغم عديد الأمثلة التي سلفت فلديّ من فقه الزكاة مثال آخر غير ما سبق ، هو :

جـ - زكاة الزروع والثمار :

في الحديث الذي رواه أحمد والبيهقي : (ليس فيما دون خمسة أوسق من ثمر ولا حب صدقة) جاء في فقه السنة [1] : والوسق ستون صاعا بالإجماع ، إذن : الوسق = ٦٠ صاعا ، أو بدلا منه على سبيل الاختصار والتركيز والاختزال.

٢- **وعند اقتباسان من كتاب آخر ، من مختار الصحاح ، كما يلي :**

أ - في مادة (ق ر ح) جاء الآتي :

وقرح الحافر انتهت أسنانه ، وبابه خضع ، وإنما تنتهي - أي الأسنان في خمس سنين :

---

(١) ص ٥٣.

- حولي في السنة الأولى.
- جذع : أي في السنة الثانية.
- ثنى : في السنة الثالثة.
- رباع : بلغ ٤ سنوات ، ودخل في الخامسة.
- قارح : بلغ الخامسة.

يقال :

- أجذع المهر ، إذا دخل عامه الثاني.
- وأثنى ، بلغ عامين اثنين ، ودخل في الثالث.
- وأربع ، بلغ ٣ أعوام ، ودخل في الرابع.
- وقرح ، وهذه وحدها بدون ألف (همزة).

انتهى الاقتباس ، وإن كتبناه بطريقة مختلفة بعيض الشيء ، عما جاء في مختار الصحاح.

جدير ذكر أن الحافر ، هو كان له حافر من الحيوان ، مثل الفرس والضأن والماعز ... الخ ، جاء في معجم :

هـ ـ مادة (ن ي ف) :

النيف بوزن الهيّن ، الزيادة ، يخفف ويشدد ، أي في ياء (نيف) يقال عشر ونيف ، ومائة ونيف ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد التالي (الثاني) ونيف فلان على السبعين ، أي زاد.

انتهى نص مختار الصحاح بتصرف قليل ، يظهر فيه عناية العربية بالرقم والعدد ، فأنت هنا أمام لفظة تختص بما بعد ألفاظ العقود فقط فقط إلى العقد التالي ، فإذا قلت : عشرون ونيف ، فإن هذا يعني أن العدد فوق العشرين إلى تسعة وعشرين ليبدأ العقد التالي ثلاثون.

وهكذا تجد لفظة (نيف) ولها مكان وموقع في خانة الأرقام والأعداد لما سبقها من الألفاظ التي تحدثنا عنها في هذه الدراسة (ـ القيراط ـ جذعة ـ حقة ...) الخ.

ب ـ في مادة (ب د ر) :

أي في مختار الصحاح ، جاء ما يلي : (البدرة عشرة آلاف درهم) كليمة واحدة ،ليس إلا ، أغنت عن ثلاث كلمات ، وعبرت عنها.

جـ ـ مادة (س ت ر) :

الإستار بكسر الهمزة ـ في العدد ـ أربعة ، أي تعبر عن العدد أربعة ، والإستار أيضا وزن أربعة مثاقيل ونصف ، أما المثقال فإنه = $1\frac{6}{7}$ من الدرهم ، أي أقل من درهمين ، فقط سبع الدرهم ، أو $1/7$ من الدرهم.

د ـ مادة (ش د د) :

وقوله تعالى : (حَتَّى [1] يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) قوته ، أو قمة قوته ، وهو الفترة ما بين ١٨ سنة إلى ٣٠ سنة من عمر الإنسان ، وقد سألنا المسئول عن التجنيد في

(١) ٣٤ ، الإسراء.

جامعتنا فأفاد بأن هذا بالضبط سن التجنيد في مصر ، لا قبلها ، قبل ١٨ سنة ، ولا بعد الثلاثين.

انظر - أخيّ - كيف عبرت العربية بكليمة واحدة (أشد) عن المرحلة العمرية ما بين ١٨ إلى ثلاثين عاما ، ولكن لماذا كان التفسير هنا رقميا محددا بهذا الشكل الدقيق ؟ حتى لا يتلاعب الأوصياء بمصير اليتيم فيصرون على بقاء الوصاية متعللين بأن اليتيم ما بلغ أشده ، إذ تكملة الآية في بقيتها : (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً).

على أي حال ففي آية الأحقاف ملمح آخر يوكد معنى (أشده) الذي سلف عنه الحديث ، هذه الآية [1] : (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) ...

إذا قلت - كما سلف - فقلت إن أشده وقوته هي من سن ١٨ إلى ٣٠ سنة ، فإن آية الأحقاف هذي توكد وتقوي تحديد سنوات هذي القوة ، إذ جاء في الآية : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) ولم تكتف بهذا بل أردفت (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) وهذا يعني أنه بلغ أشده (١٨ - ٣٠ سنة) أولا ، ثم بعد ذلك بلغ أربعين سنة.

هـ - مادة (ق ر ط) :

في مختار الصحاح : القيراط $\frac{1}{2}$ دانق ، وفي مادة : (د ن ق) أن الدانق سدس الدرهم ، معنى هذا أن القيراط = $\frac{1}{2}$ سدس الدرهم ، أي $\frac{1}{12}$ من الدرهم.

(١) ١٥ ، الأحقاف.

وهكذا عبرت العربية عن نصف سدس الدرهم بهذي الكليمة وحدها (القيراط).

ومن هذي الكليمات المعبرة عن العد والعدد إلى أبواب النحو والصرف العربي التي تشي باهتمام لغتنا بالأرقام والأعداد فإن نحاة العربية هم معبرون عن ثقافة أمتهم ولغتها حقا حقا ، أو قل بأن النحو هو الطليعة المعبرة عن روح العربية وفلسفتها وثقافتها.

ومن ثم سنذكر هذي الأبواب النحوية عنونت نفسها براية رقمية ، مثل واو الثمانية والأفعال الخمسة والأسماء الخمسة ... الخ ، ولا غرو فإن العرب هم من قدم للعالم الأرقام العربية هدية ونحلة ، سواء الأرقام المشرقية ،المنسوبة لمشرق العالم العربي ، أو الأرقام الغبارية المغربية المنسوبة إلى مغرب العرب ٠١٢٣٤٥٦٧٨٩ ومنه انتقلت إلى أوربة وإلى العالم شرقه وغربه.

كما أن الفينيقيين - العرب - هم من قدم للعالم الكتابة ونظام الكتابة ، ومن هؤلاء القوم الفينيقيين في جنوب لبنان انتقلت إلى نظم الكتابة في شتى لغيات العالم وألسنته ، إذ كلها جائية من الكتابة الفينيقية في الأصل والأساس ، والآن ندخل إلى الأبواب النحوية التي جعلت من الأرقام عنوانا لها ، وأساسا ، منها :

١- واو الثمانية : وهذا موضع آخر لحساسية العربية للأرقام ، حيث أتت بالواو قبل اللفظة الثامنة ، ومن أمثلتها :

أ - في سورة الكهف [١] : (سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب ، ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم ...).

لقد جاءت الواو قبل اللفظ الثامن.

---

(١) ٢٢ الكهف.

ب- في التوبة [1] : (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ...) دخلت الواو على الصفة الثامنة ، وإن لم يذكر العدد اكتفاء بذكر المعدود.

جـ- في سورة الزمر : في الصفحة الأخيرة من السورة المذكورة : (وَسِيقَ [2] الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ...) وفي آية الجنة : (وَسِيقَ [3] الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...) لأن لها ٨ ثمانية أبواب ، ولذا جاءت الواو في (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) أما جهنم فلها ٧ أبواب فقط ، ولذا كانت الآية : (...إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) بدون واو.

كل ما سبق يدل على حساسية العربية للرقم والعد والعدد ، بل وجدنا في بعض الاختلافات الإعرابية ما هو مرتبط بالرياضيات والأرقام ، كما مر في مثال : (عندي ستة رجالٍ ونسوةٍ - عندي ستة رجالٍ ونسوةٌ) وهلم جرا.

٢- <u>الأفعال الخمسة والأسماء الخمسة</u> : نبدأ بالأفعال ، ثم نثني بالأسماء ، أي خمسة الأفعال ، ثم خمسة الأفعال :

أ - <u>الأفعال</u> : الأفعال دائما ودوما مبنية مبنية ، ما يعرب منها إلا المضارع عندما يخلو من نونات التنوين - خفيفا أو ثقيلا ، أو نون الإناث الشهيرة بنون النسوة ، إذ الأمر مبني بشكل وكيد ويقين ، وكذا الماضي.

---

(١) ١١٢ التوبة.
(٢) آية ٧١.
(٣) آية ٧٣.

ومن هذا المضارع الأفعال الخمسة التي تعرب بإثبات النون رفعا وحذفها عند النصب وعند الجزم ، إنها تيك الأفعال التي تسند إلى ضمائر الرفع الثلاثة (واو الجمع - ألف الاثنين - ياء المخاطبة).

هذا في المضارع ، أما الماضي أو الأمر مع ما سبق من ضمائر الرفع ، فإن النون ما تلحقهما البتة ، إذ هما مبنيان غير معربين ، وفي البدء والنهاية لا تلصق بهما النون ، لأنها للرفع ، ولا رفع ولا إعراب - كما ذكرنا - للماضي والأمر.

وكثير ممن يدرس النحو - وكذا في كتب النحو - من لا يشير إلى سبب تسمية الأفعال بالخمسة ؟ مع أن المسألة بدهية بسيطة ، هي أمثلة خمسة للأفعال المسندة إلى الواو والياء والألف - أي المدية - هي مثلا :

- يفعلون.
- تفعلون.
- تفعلان.
- يفعلان.
- تفعلين.

أو ما جاء على زنتها من الأفعال ، أي عندنا :

- نموذجان مع واو الجماعة (يفعلون - تفعلون) = ٢
- نموذجان مع ألف الاثنين (يفعلان - تفعلان) = ٢
- نموذج واحد فقط مع ياء المخاطبة فقط لا غير = ١

المجموع = ٥

وفي إسناد الفعل إلى واو الجماعة ملمح بارز من عبقرية العربية وحدة ناظريها ذاك أن واو الجماعة تكون حركة طويلة - ضمة طويلة - إذا كان الفعل الناقص منتهيا بالواو أو الياء ، مثل :

- يقضي ← يقضون.
- يلهو ← يلهون.

أما إن كان الفعل ناقصا بألف المد الفتحة الطويلة - وجدنا واو الجماعة واوا لينة ساكنة ، قبلها فتحة :

- يرضى ← يرضَوْن.

تفرقة بين الناقص بالواو أو الياء ، وبين معتل اللام بالألف المدية ، إنها عبقرية العربية الواضحة.

وفي إسناد الأفعال إلى ألف الاثنين - وهو فتحة طويلة ملمح آخر مهم ، ذاك أن الناقص دوما في أصله ينتهي بواو لينة أو ياء لينة ، وهو ما يظهر بصور مختلفة ، مثل :

- ألف مد ، يرضى ← يرضيان.
- واو مد ، يرنو ← يرنوان.

وهكذا فإن حالة إسناد الفعل إلى ألف الاثنين تشي وتشير إلى أصل لام الفعل الناقص ، هي في الأصل واو لينة أو ياء لينة ، وإن اتخذت أشكالا أخرى ، مثل :

- الفتحة الطويلة (الألف المدية).
- الكسرة الطويلة (الياء المدية).
- الضمة الطويلة (الواو المدية).

وبما أن ألف المد لها طبيعة واحدة - أو صيغة واحدة - هي أنها فقط فتحة طويلة ، على خلاف الواو والياء فإنهما يمكن أن يكونا صوتين لينين أو حركتين طويلتين ، ومن ثم وجدنا واو الجماعة تسير في الاتجاهين مع الفعل الناقص ، إن انتهى بألف كانت الواو لينة ، وإن كانت واوا أو ياء كانت واو الجماعة ضمة طويلة - كما سبق - وكذا ياء المخاطبة إذا كان الفعل صحيح الآخر كان حركة طويلة - كسرة طويلة - وذلك في الأمر والمضارع :

- ... اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ.
- أنت تقرئين وتكتبين وتفكرين.

أما إسناد الناقص إلى ياء المخاطبة ، فيتم معه ما يتم مع الإسناد إلى واو الجماعة حين تمارس الياء والواو نفس الدور ، هما مع الفعل الناقص المنتهي بفتحة طويلة كانتا صوتا لينا ساكنا قبله فتحة ، وإن ختم الناقص بواو أو ياء كانتا - أي واو الجماعة وياء المخاطبة - كانت واو الجماعة ضمة طويلة ، وكانت ياء المخاطبة كسرة طويلة ، وقد سبقت أمثلة واو الجماعة ، والآني مع أمثلة ياء المخاطبة :

- تدعى ← أنت تدعين ← ياء المخاطبة حركة طويلة لأن الفعل الناقص ينتهي بياء.
- تسمو ← أنت تسمين ، ياء المخاطبة حركة طويلة لأن الناقص انتهى بواو.
- تَرْضَى ← أنت ترضيْن ، ياء المخاطبة لينة ساكنة قبلها فتح.

هذا في المضارع ، وفي الأمر :

- ادعُ ← ادعين ، ياء المخاطبة مدية.
- ادَّع بتشديد الدال ← ادّعين ، ياء المخاطبة كسرة طويلة.

ب - الأسماء الخمسة : باب في النحو ليس الفريد الوحيد الذي فاز بعنوان رقمي عددي ؟ هي أسماء خمسة بالفعل ، وإن كان لها شروط في إعرابها بالواو رفعا وبالألف المدية نصبا وبالياء جرا وخفضا : (أب - أخ - حم - فو - ذو) :

- جاء أبوه وأخوه.
- رأيت أخاه وحماه.
- وضع الطعام في فيه.
- تحدث إلى ذي مال.

وعندما أضاف بعضهم (هَنُ) أيضا أيضا أعطاهم عنوانا رقميا أيضا أيضا فسماهم (الأسماء الستة) بدل : الأسماء الخمسة ، بقي العنوان في الحالين رقما وعددا.

٣- المفرد والمثنى والجمع : وبما أن العربية انفردت عن غيرها بالتثنية ، فأصبح فيها المفرد والمثنى والجمع ، فإنها فرضت المطابقة بين أركان جملها في العدد ، وذاك في المبتدأ والخبر ، وفي الصفة والموصوف :

- محمد طالب وسيم.
- محمدان طالبان وسيمان.
- محمدون طلاب وسيمون.

هنا مطابقة في الإفراد والتثنية والجمع بين المبتدأ والخبر ، وبين الصفة وبين الموصوف.

إحدى التلميذات سألتني : أنتم تقولون بالمطابقة بين المبتدأ وبين الخبر فما

تقول في (الرغيف نصفان) المبتدأ مفرد والخبر مثنى ؟ أجبتها : المطابقة هنا في ذياك المثال في المعنى ، فالنصفان هما الرغيف ، والرغيف هو النصفان ، تماما تماما مثل :

- الكتاب خمسون جزءا.
- السّلم مائة درجة.
- الجيش مليون جندي.

في كل ما سبق وفي غيره من الأمثلة المطابقة في المعنى ، وليس في اللفظ ، وهكذا.

والأمر في المطابقة لا يقتصر على المبتدأ والخبر ولا الصفة والموصوف ، إنما أيضا التأكيد ومؤكده :

- أكل السمكة كلها.
- أكل السمكتين كلتيهما.
- قابل الرجال كلهم.

بل إن المطابقة واضحة جدا مع اسم التفضيل ، مثل : هو الرجل الأكرم ـ هما الرجلان الأكرمان ـ هم الرجال الأكرمون [١] ، وهكذا.

٤ـ جموع القلة وجموع الكثرة : كثرت وتعددت صفوف الجموع في العربية ما بين الجمع المكسر والمصحح ، والمصحح مذكر سالم ومؤنث سالم ، وما يلحق بهما ، ثم اسم الجمع واسم الجنس ، الإفرادي والجمعي ، بل وجمع الجمع ... الخ.

---

(١) راجع كتابنا (الصرف العربي والنحو ...) القاهرة ٢٠٠٦ ، ص٥٢.

وفي الجمع المكسر فرقت العربية جموع القلة وجموع الكثرة ، وعلى أساس عددي ورقمي ، فجموع القلة من ٣ ـ ١٠ ، والكثرة من ١١ ـ ما شاء الله ، وهنا بنيت التفرقة بين نوعي الجمع المكسر على أساس الرقم والعدد ، العدد الأقل والقليل جمع قلة ، أو جمع للقلة من الأعداد ، أقل من عشرة إلى ثلاثة ، وهي أقل الجموع.

أما جمع الكثرة فما زاد عن عشرة إلى ما شاء الله من الأعداد والأرقام كما سلف قبيل ذلك.

وفي الصرف العربي أيضا أمثلة للأبواب المعنونة رقميا وعدديا وعديا ، منها :

٥- اسم المرة والهيئة : يصاغ من الفعل مصدر يدل على أن الحدث كان مرة واحدة أو تشير إلى الهيئة ، وهو ما يسمى اسم المرة واسم الهيئة ، فكيف يصاغان ـ يا يرحمك الله ـ ؟

أ ـ يصغ اسم المرة من الثلاثي بزنة (فعلة) بفتح الفاء ، مثل : أكلة وشربة وجلسة ، فإذا ختم مصدر المرة أو اسم المرة بتاء مربوطة وصف المصدر لبيان المرة مثل : رحمة واحدة.

ويصاغ من غير الثلاثي بزيادة تاء مربوطة ، مثل : انطلاقة ، إلا إذا انتهى المصدر بالتاء فإنه يوصف بما يدل على المرة ، مثل : ... إقامة واحدة.

ب ـ وللدلالة على الهيئة يصاغ مصدر برنة (فِعلة) بكسر الفاء ، ليس بفتحها ، كما في اسم المرة ، فمن أسماء الهيئة : (فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا

ذبحتم فأحسنوا الذبحة [1]...) بكسر القاف في (قتلة) وكسر الذال في (ذبحة).

فإن كان اسم الهيئة مختوما بتاء مربوطة وصف المصدر للدلالة على الهيئة من غير الثلاثي [2].

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل اشتقاق اسمي المرة والهيئة ، لكن نشير إلى أن تخصيص مصدر لوقوع الحدث مرة واحدة هو حساسية للرقم والعدد ، ربما لا نجده في لغية - تصغير لغة - أخرى ، وهو دأب للعربية رأيناه في كثير من الألفاظ وفي أبواب النحو ، والصرف أيضا.

وانظر إلى دقة العربية كيف فرقت بين اسمي المرة والهيئة في الثلاثي بأن جعلت الأول مفتوح الأول (الفاء) وجعلت اسم الهيئة مكسور اللام ، والوزن واحد في كليهما (فعلة) باستثناء حركة الفاء ما بين الفتح والكسر ، كما شرحنا ، هذي هي عبقرية العربية ، أو جانب من تيك العبقرية الواضحة.

٦- اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة : نتحدث عن هذي الثلاثة ، صوغها ، والفروق بينها ، كما يلي :

أ - <u>اسم الفاعل</u> : يصاغ من الثلاثي على وزن (فاعل) مثل : (هاتف - طارئ) وفي الأجوف (صائم - قائم - بائع) ومن غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة مضمومة ، مع كسر ما قبل آخره (مستخرج - مقبل - مهاجر).

---

(١) رواه مسلم ، ونص الحديث : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم وليرح ذبيحته).
(٢) راجع كتابنا : (الصرف العربي والنحو ....) القاهرة ٢٠٠٦ ، ص٤٩.

ب- صيغ المبالغة : إذا أردت المبالغة في اسم الفاعل أي تكرر الفعل جئت بصيغ خمس ، أمثلتها : (كرار - منحار - شكور - سميع - حذِر) أو مثل : (صدِّيق - فاروق) وكذا ما جاء بتاء المبالغة ، مثل : (همزة - لمزة - فهّامة).

جـ- الصفة المشبهة : أي باسم الفاعل ، وقد شبهت باسم الفاعل ، لأنها تدل - مثل اسم الفاعل - على من وقع منه الفعل أو تعلق به ، إلا أنها تدل على التكرار الشديد لدرجة الثبوت ، على عكس اسم الفاعل ، مثل : (كارم) اسم فاعل لا يدل على دوام صفة الكرم ، في حين تجد كلمة (كريم) تدل على ثبات هذه الصفة ودوامها. (١)

وتأتي من الثلاثي على صيغ عديدة ، من أمثلتها : (أشقر - شعراء - بطل - ضخم ...) الخ وتصاغ من غير الثلاثي على زنة اسم الفاعل إن أريد لها الثبوت والدوام (هو منطلق اللسان معتدل القوام) هنا ثبات واستمرار في انطلاق اللسان واعتدال القوام.

ترى - عزيزي القارئ - أن اسم الفاعل يأتي عند الإشارة للفعل مرة ، أو بشكل محدود ، فإن تكرر كثيرا كانت صيغ المبالغة ، فإن أصبح عادة ثابتة راسخة استخدمنا الصفة المشبهة.

وهذا ما يشير إلى تفرقة العربية بين الحالات الثلاث ، وحدة ناظريها كعين الصقر وحساسية العربية للإفراد والعدد والتعدد ، فإذا قلت فلان (قارئ) أو (هو القارئ) أي من قام بعملية القراء ، فإذا بالغ في القراءة ، قلنا : (قراء) على زنة (فقال).

---

(١) السابق ص٥٢ وقبلها.

العامية المصرية :

هي الأخرى ما نجت من ألفاظ دالة على الرقم والعدد ، لقد قبست هذي الروح من الفصحى ، فإن العامية ليست ضرة للفصحى أو معادية لها بل هي بنتها التي جاءت من عباءتها ، وفي جعبتي أمثلة عدة من هذا النوع من ألفاظ العامية المصرية :

أ - دستة : وهي تساوي العدد ١٢ ، دستة الجوارب ، دستة من الملابس الداخلية أو غيرها ، وفي العامية الشامية (دزّينة) وقد تكون معربة عن كلمة dozen.

ب- رزمة : رزمة الورق يمكن أن تكون ٥٠٠ ورقة ، ويمكن لبعض الشركات أن تجعلها أقل ، ورزمة الأظرف التي توضع فيها الرسائل المكتوبة ، إذن فالرزمة مجموعة من الأوراق أو الأظرف أو غيرهما ، تيك الأشياء توضع في مكان واحد ، في كيس من الورق أو البلاستيك ، أو تلف عليها ورقة من وسطها ليظهر شكل المظروف وحجمه.

جدير ذكر أن كلمة (رزمة) هي فصيحة ، فقد جاء في مختار الصحاح [١] : (رزم الشيء جمعه ، وبابه نصر ، والرّزمة بكسر الراء : الكارة من الثياب ، وقد رزمها ترزيما إذا شدها رزما).

نعم هي فصيحة الأصل ، لكنها في العامية المصرية بضم الراء ، وهي في مختار الصحاح مكسورة العين ، كما نص صاحب مختار الصحاح ، وكذا في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مادة : (رزم).

---

(١) مادة : (رزم).

جـ- الأستك : وهي الألف جنيه المصري ، لألف ترزم أو تربط (بأستكها) المعروف.

د- الأرنب : المليون من الجنيهات ، ربما بسبب كبر حجم المبلغ ، فقد أطلق على المليون هذه هذه التسمية ، أو هذا المبلغ يمكن أن يثمر خيرا كثيرا ومصالح ، مثل الأرنب الذي يتميز بالخصوبة الشديدة وكثرة التوالد.

هـ- الخروف ودكر البط : ذهب صديقي للتفاوض في مصلحة خاصة بي ، ثم جاء ليقول لي : (الطرف الآخر طلب خروفا فقلت له : لا ، سوف نعطيك ذكر بط - بالدال) هكذا ينطق في العامية ، وهو بالفصحى بالذال ، لكني كنت شغوفا أن أسأل صاحبي ، ما معنى الخروف ؟ فقال : الخروف ٥٠٠ جنيه ، فما دكر البط ؟ قال : مائة جنيه.

و- البريزة والشلن : البريزة في السابق كانت تعني عشرة قروش ، أي عشرة في المائة من الجنيه ، الآن اختفت هذه البريزة ، وهي الآن تعني عشرة جنيها ، وأحيانا يقال بريزة كبيرة أي مائة جنيه.

أما الشلن فكان يعني خمسة قروش ، أي ٥% من الجنيه ، الآن هي تعبر عن خمسة الجنيهات ، وهكذا حصل للفظتين رقي للمعنى :

- بريزة من عشرة قروش إلى عشرة جنيهات.
- شلن من خمسة قروش إلى خمسة جنيهات.

ز- الطورة : الطورة من الأشياء هي ٤ ، فإذا قلنا : طورة بلح أو طورة برتقال ، قصدنا أربعة من هذه الأشياء ، ولكن هذه الكلمة بدأ في الاختفاء الآن.

ح- الجوز : وهو قلب مكاني للكليمة الفصيحة (زوج) فهذه الأخيرة حدث لها قلب مكاني من زوج إلى جوز ، بواو مد ، على عكس (زوج) الواو لينة ساكنة قبلها فتح.

ونختم بطريقة لطيفة هي أن (عرج) من باب (دخل) إن طرأ العرج فنقول (عرَج يعرُج) بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع ، أما إذا كان العرج خلقة في المرء أو المرأة فهو من باب (طرب) يطرب ، أي (عرج) بكسر الراء (يعرج) بفتح الراء في المضارع.

وهنا نوجه أبناءنا الباحثين وزملاءنا إلى موضوع الباب الصرفي ، وعلاقته بالمعنى ، كما في (عرج) وندرس هذا مطبقين على معاجمنا العربية المختلفة بدءا من المختصرات مثل مختار الصحاح ، وانتهاء بالمطولات الموسوعات مثل لسان العرب لابن منظور، ثم أوسع المعاجم العربية طرا ، تاج العروس للزبيدي .

إن في تفريق العربية في تصريف العربية وأبوابها الصرفية بين الأبواب عند اتحاد الجذر ـ كما في المثال السابق ـ واختلاف الباب عند اختلاف المعنى لدليل ساطع على أن العربية ذات بصر حاد حديد يفرق بين الحالات وبين المعاني مهما كانت دقيقة لطيفة.

والصلاة والسلام على سيدنا أجمعين محمد وآله الأكرمين الأطهرين

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبوالخير

خادم اللغة العربية

أثر حرف الجر فى دلالة الفعل فى القرآن الكريم

دراسة على تفسير ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

حسنا فعل النحاة حين ربطوا حرف الجر بالفعل ، فكل حرف من هاتيك الحروف لابد أن يرتبط بفعل فى جملته ، يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) فى شرح المفصل [١] : " ليس فى الكلام حرف جر إلا وهو متعلق بفعل ، أو ما هو بمعنى الفعل فى اللفظ ، أو التقدير ، أما اللفظ فقولك : انصرفت عن زيد ، وذهبت إلى بكر ، فالحرف الذى هو – إلى – متعلق بالفعل الذى قبله ، وأما تعلقه بالفعل فى المعنى فنحو قولك : المال لزيد ، تقديره : المال حصل لزيد وكذلك: زيد فى الدار ، تقديره : زيد مستقر فى الدار ، أو يستقر فى الدار ، فثبت بما ذكرناه أن هذه الحروف إنما جيء بها مقوية وموصلة لما قبلها من الأفعال ، أو ما هو فى معنى الفعل إلى ما بعدها من الأسماء " .

ويركز البحث بصفة رئيسة على الفعل ، ما ذُكر منه فقط ، دون ما حذف ، وقدره النحاة ، وكذا الفعل المبنى للمعلوم فقط دون المبنى للمجهول ؛ لأن هذا الأخير يحتاج إلى بحث خاص .

وقد توزعت أقوال المتقدمين فى معانى الحروف بين طيات كتب التفسير وعلوم القرآن وشروح الدواوين ، والمصنفات النحوية والبلاغية ... الخ [٢]، بل خصص السيوطى (ت ٩١١هـ) النوع الأربعين من علوم القرآن لمعانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر ، أى " الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف" [٣] .

ولكن النحاة شعروا بضرورة تصنيف كتب خاصة ، تضم هذه المعانى ، وتُبسِّط أصولها وأبوابها وشواهدها ، والمذاهب المختلفة فيها ، فصدرت مؤلفات كثيرة فى هذا الموضوع أشهرها :[٤]

- اللامات ، لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى .
- منازل الحروف لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى .
- الأزهية فى علم الحروف ، لأبى الحسن ، على بن محمد الهروى .
- معانى الحروف ، لعبد الجليل بن فيروز الغزنوى .

---

[١] – ٨ / ٩ ، مكتبة المتنى بالقاهرة .

[٢] – المرادى : الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، انظر تمهيد المحققين ، ص٣ ، ط٢، بيروت ١٩٨٣م.

[٣] – الإتقان فى علوم القرآن ، ١ / ١٤٦ ، القاهرة ١٣٦٨هـ .

[٤] – الجنى الدانى فى حروف المعانى : مقدمة المحققين ، ص٤ .

- وصف الحروف لابن قيم الجوزية ، محمد بن أبى بكر الحنبلى .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، عبد الله بن يوسف الأنصارى .
- الجنى الدانى فى حروف المعانى ، للحسن بن قاسم المرادى.

وقد فصل النحاة معانى حروف الجر ، حرفاً حرفاً ، لكنهم لم يشيروا – من قريب أو بعيد – إلى دور هذى الحروف فى تغيير معنى الفعل ، أو الاسم الذى يعمل عمله ، ومن هنا رأينا أن نقوم بهذه الدراسة ، وذلك من خلال النص القرآنى ، حسب رواية حفص بن سليمان (ت ١٨٠هـ) عن عاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ) دون غيرها من الروايات أو القراءات لأن الأمر قد يختلف ، فيما يتعلق بحرف الجر ، أو الفعل ، ففى قوله تعالى : " فإن كذبوك ، فقد كُذِّب رسل من قَبْلك ، جاءوا بالبيانات والزُبُر والكتاب المنير[1] " قرأ حفص بحرف الجر فى الكلمة الأولى فقط (بالبينات) وتبقى الأخريان (والزُبُر والكتاب) هكذا بدون باء، فى حين جاءت الكلمات الثلاث بالباء فى مصحف أهل الشام ، أى " جاءوا بالبيانات وبالزبر وبالكتاب المنير "[2].

وفى قوله تعالى : " ولا تَعْدُوا فى السبت[3] " قرأ نافع بن أبى نعيم[4] (ت ١٦٩هـ) هكذا: " ولا تَعَدُّوا " وفرق بين (تَعْدُوا) وبين (تَعَدُّوا) .

إن آية واحدة من آيات القرآن الكريم لا تخلو من حرف أو أكثر من حروف الجر، فهذه آية واحدة ، هى أقل من سطرين ، بها من حروف الجر ستة" وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعو شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين[5] " .

وفى أمثلة كثيرة يمكن أن يغير حرف الجر معنى الفعل ، مثل (رغب عن ... ورغب إلى) فالمعنى مختلف تماماً مع أن الفعل واحد (رغب) ولكن حرف الجر قد وجه الفعل وجهة مخالفة تماماً .

وسوف يحاول البحث استقصاء هذه المواضع التى غير حرف الجر من معنى الفعل، إذا كان هذا الفعل مذكوراً فى الكلام ، أما إذا كان مقدراً فلن نتعرض له ، لأن تقدير الفعل أو غيره يمكن أن يختلف من مُقدِّر إلى آخر .

---

[1] - ١٨٤ آل عمران .

[2] - انظر – ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ٢٤٥/٢ ، ٢٤٦ ، وابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ، ص ٢٢١.

[3] - ١٥٤ النساء .

[4] - ابن مجاهد : السبعة فى القراءات ، ص ٢٤٠.

[5] - ٢٣ البقرة .

وكذا اختار البحث الفعل المبنى للمعلوم فقط ، دون المبنى للمجهول ، لأن هذا الأخير يحتاج إلى دراسة خاصة .

لكن البحث سوف يبقى فى إطار ما ينص عليه ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) فى (تفسير القرآن الكريم) فقط ، دون غيره من التفاسير ، ففى قول الله تعالى " .. ولأصلبنكم فى جذوع النخل "[1] يرى ابن كثير أن حرف الجر (فى) معناه (على [2]) أى لأصلبنكم على جذوع النخل ولكن غيره من المفسرين ربما يكون لهم رأى آخر .

يقول الزمخشرى مثلا (ت ٥٣٨هـ) فى تفسيره : " شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشيء الموعى فى وعائه ، فلذلك قيل : فى جذوع النخل [3] " إنه لم يفسر حرف الجر (فى) بمعنى (على) كما فعل ابن كثير ، بل ذهب إلى تفسير استخدام حرف الجر هنا بأنه يدل على تمكن المصلوب فى الجذع ، فكأنما هو داخل فيه ، وبرغم وجاهة ما قال الزمخشرى – وربما غيره من المفسرين – فإن حدود البحث لا تخرج عما نص ابن كثير فى تفسيره .

على أية حال فقد بدأت الخطوة الأولى فى البحث بالنظر فى جميع الأفعال التى اقترنت بحرف أو أكثر من حروف الجر ، كل فعل على حدة ، مع إمعان النظر فى سياق هذا الفعل ومواضعه فى القرآن الكريم كله ، وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم [4] لمحمد فؤاد عبد الباقى ، حتى تم الحصول على مجموعة كبيرة من الأفعال التى يظهر أن معناها قد تغير بسبب حرف الجر .

وبالإضافة إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم فقد أفاد البحث أيضا من :

١-معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة [5] .

٢-معجم الأدوات والضمائر فى القرآن الكريم ، تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه الدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور عبد الحميد السيد [6] .

٣-الأفعال فى القرآن الكريم ، دراسة استقرائية للفعل فى القرآن الكريم فى جميع قراءاته تأليف الدكتور عبد الحميد السيد [7] ، الذى نص فى المقدمة على أنه قد اعتمد " فى إعداد

---

[1] – ٧١ طه.

[2] – تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٣٨ ، حلب ١٩٨٠م .

[3] – الزمخشرى : الكشاف ٢ / ٤٤١.

[4] – طبعة القاهرة ، ١٩٨٧م.

[5] – طبعة ١٩٨٩م .

[6] – بيروت ١٩٨٦م .

[7] – ط١ ، جدة ١٩٨٦م .

هذا البحث على عدد وافر من المصادر المختلفة ، أهمها على الإطلاق - التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط - لأبى حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٥٤هـ" [١] ، ومن ثم كانت محاولة الإفادة من البحر المحيط .

أما الخطوة الثانية فتمثلت بعرض هذه المجموعة الكبيرة من الأفعال على تفسير ابن كثير ، هل نص على تغيير فى دلالة الفعل ، أم لا ؟

ثم استبعدت الأمثلة التى فسرها (التضمين) خاصة ما نص عليه ابن كثير ، مثل :

أ - قوله تعالى : " واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك [٢] " قال ابن كثير [٣] : " وعداه بعلى لأنه تضمن تتلو تكذب ، وقال ابن جرير (على) ههنا بمعنى (فى) ، أى تتلو فى ملك سليمان قلت: التضمين أحسن وأولى " .

ب- " ثم استوى إلى السماء [٤] " أى قصد إلى السماء ، والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدّى [٥] بإلى .

وجاءت الخطوة الثالثة بدراسة كل فعل بالتفصيل للتأكد تماماً من أن الفعل قد تغير معناه بسبب حرف الجر ، بحيث لا يبقى شيء من تردد فى الحكم على الفعل ، وهكذا .

وقبل الدراسة التطبيقية لهذه الأفعال التى تغير معناها بسبب حرف الجر ، كما جاء فى تفسير ابن كثير تجدر الإشارة فى عجالة إلى أنواع التغير الدلالى ، تاركين التفصيل إلى موضعه من المراجع المتخصصة فى علم الدلالة :

إذا كانت اللغة مرآة الحياة ، والترجمان المعبر عما فيها من وجوه النشاط الإنسانى فإن أى تطور يصيب هذا النشاط يترك آثاره فى اللغة ، ويؤدى إلى تغير فى دلالات الألفاظ كى تصبح قادرة على تَمَثُّل التطور وترجمته [٦] .

---

[١] - ١ / ٧ .

[٢] - ١٠٢ البقرة .

[٣] - ١ / ١٣٦ .

[٤] - ٢٩ البقرة .

[٥] - ابن كثير ١ / ٦٧ .

[٦] - طليمات ، الدكتور غازى : نظرات فى علم دلالة الألفاظ عند أحمد بن فارس اللغوى ، انظر ص ٧٤ حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٩٨٩ / ١٩٩٠م .

وقد استطاع اللغويون بعد طول النظر فيما يطرأ على الدلالات من تغيرات فى لغات كثيرة أن يحصروا هذه التغيرات فى أنواع رئيسة ، يمكن أن توجد فى جميع اللغات [1] ، وهذا تعريف مختصر بأنواع التغير الدلالى :

١-تخصيص الدلالة : كثيراً ما تخصص ألفاظ كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء ، فيدل كل منها على حالة خاصة ، وهكذا يتخصص مجال الأفراد ، أو يضيق فكلمة (فاكهة) كان من معانيها (الثمر كله[2]) ثم خصص هذا المعنى للدلالة على أنواع معينة من الثمر كالتفاح والعنب والخوخ [3] ... الخ .

٢-تعميم الدلالة : وعلى العكس مما سبق يمكن أن يحدث تعميم للدلالة أو توسع لها ، مثل كلمة (بأس) التى كانت تعنى الحرب فقط ، ثم أصبحت تطلق على كل شدة [4] .

٣-انتقال الدلالة : وربما لا يحدث للدلالة تخصيص أو تعميم ، بل انتقال هذه الدلالة إلى مجال آخر ، ويعتمد هذا الشكل من التغير الدلالى على وجود علاقة مجازية ، عن طريق الاستعارة ، باستخدام الكلمة فى غير معناها الأصلى لوجود هذه العلاقة ، وقد تكون العلاقة غير المشابهة ، وتأتى عن طريق المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة ، ويسمى المعنى غير الأصلى للكلمة بالمعنى المجازى ، أى المحول عن طريق المجاز [5] .

مثال انتقال الدلالة لعلاقة المشابهة " استعارة التقطيع للتفريق فى قول الله تعالى : وقطعناهم في الأرض ، بجامع إزالة الاجتماع [6] " .

أما المجاز المرسل فهو : " ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت فى النعمة ؛ لما جرت به العادة من صدورها عن هذه الجارحة ، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها [7] " .

---

[1] – السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، ص ٢٨٠ ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

[2] – الفيروزبادى : القاموس المحيط ، مادة (ف ك هـ).

[3] – السعران : علم اللغة ، انظر ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

[4] – أنيس : دلالة الألفاظ ، ص ١٥٥ ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

[5] – حيدر ، الدكتور فريد : علم الدلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية ص ٧٩ ، القاهرة ١٩٩٩م .

[6] – الجرجانى : الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة ، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين ، ص ٢١٧ ، القاهرة ١٩٨٢م .

[7] – المراغى ، أحمد مصطفى : علوم البلاغة ، البيان والمعانى والبديع ، ص ٢٣٠ ، بيروت .

٤-التحول نحو المعانى المضادة : وهو استعمال كلمة للدلالة على معنى معين ، واستعمالها فى نفس الوقت للدلالة على ضد هذا المعنى ، وقد درس لغويو العربية هذا الجانب من مفردات لغتنا ، ولهم فى (الأضداد) كتب كثيرة [1] .

مثال هذا النوع من التغير الدلالى (السليم) يطلق فى العربية على الصحيح وعلى اللديـغ وكما نقول فى العامية المصرية (فلان بعافية) ونقصد العكس ، أى : هو مريض [2] .

٥-رقى الدلالة وانحطاطها : ترقى دلالة بعض الألفاظ ، وتنحط فى أخرى ، مثال الرقى كلمـة (الرسول) التى كانت بمعنى مَنْ يرسل فى مهمة ، مهما كان شأنها ، ثم تطورت الدلالة إلى ما يعرف اليوم ، أى مَنْ يرسله الخالق لهداية المخلوقين [3].

ومثال انحطاط الدلالة (الحاجب) الذى كان فى الدولة الأندلسية بمثابة رئيس الـوزراء [4] والتى أصبحت تعنى فى العامية المصرية الموظف فى المحكمة الذى ينادى بأسماء المتقـاضين والشهود للمثول أمام القاضى.

والآن بعد استعراض أنواع التغير الدلالى تبدأ الدراسة التطبيقية :

---

[1] - السعران : علم اللغة ، ص ٢٨٥ .

[2] - عبد التواب : فصول فى فقه اللغة ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

[3] - أنيس : دلالة الألفاظ ، ص ١٥٨ ، القاهرة ١٩٨٦م.

[4] - السابق ، ص ١٥٧ .

الدراسة التطبيقية :

يمكن تقسيم الأفعال وحروف الجر فى القرآن الكريم إلى عدة أقسام :

١-أفعال تأتى بدون حرف جر ، ومن أمثلته الفعل (تبارك) الذى ورد تسع مرات [١] ، وفى كلها بدون حرف جر ، من أى نوع ، قال تعالى : " تبارك الله رب العالمين [٢] " .

٢-فعل يأتى مرة واحدة : سواء مع حرف جر ، أو بدونه ، فمن الأول قوله تعالى : " قال : هى عصاى أتوكأ عليها [٣] " فقد جاء الفعل (أتوكأ) مرة واحدة فقط [٤] ، وذلك مع حرف الجر (على) .

وقد جاء الفعل مرة واحدة بدون حرف جر ، من أى نوع ، نحو : " فوكزه موسى فقضى عليه [٥] " الفعل (وكز) قد جاء فى موضعه الوحيد [٦] ، بدون حرف جر .

٣-الأفعال كلها مع حرف جر واحد : وقد يأتى الفعل فى مواضع عديدة ولكن مع حرف واحد فقط من حروف الجر ، وهذا ما يتكرر كثيراً جداً فى القرآن الكريم .

فالفعل (حاق) وقع تسع مرات [٧] ، مثل "فحاق بالذين سخروا منهم ... [٨] " وكلها مع حرف الجر (الباء) فقط ، وكذا مضارعه (يحيق) فى موضعه الوحيد قد جاء معه نفس الحرف " ولا يحيق المكر السَّيِّئ إلا بأهله [٩] " برغم أسلوب القصر فى الآية .

٤-أفعال جاءت مع الظرف الجار فقط [١٠]: فقد جاء الفعل (حال) مع الظرف (بين) وكذا مضارعه (يحول) والمبنى للمجهول (حيل) ، قال تعالى : " وحال بينهما الموج [١١] – يحول بين المرء وقلبه [١٢] – وحيل بينهم وبين ما يشتهون [١٣] " .

---

[١] – عبد الباقى : المعجم المفهرس ، انظر ص ١١٨ .

[٢] – ٥٤ الأعراف .

[٣] – ١٨ طه .

[٤] – مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، انظر : ص ١١٩٨ .

[٥] – ١٥ القصص .

[٦] – مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، انظر : ص ١١٩٩ .

[٧] – عبد الباقى : المعجم المفهرس ، انظر ص ٢٢٢ .

[٨] – ١٠ الأنعام .

[٩] – ٤٣ فاطر .

[١٠] – السيد ، الدكتور عبد الحميد : الأفعال فى القرآن الكريم ، انظر ١/ ٣٩٨ ، جدة ١٩٨٦م.

[١١] – ٤٣ هود .

[١٢] – ٢٤ الأنفال .

[١٣] – ٥٤ سبأ .

ولاشك أن كل نموذج من هذه النماذج السابقة فى (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) كل منها جدير بدراسة خاصة تُجلِّى جوانبه وتفحص نواحيه ، ولكن هذه الدراسة تنصبُّ على الأفعال التى جاءت أكثر من مرة ، وجاء معها أكثر من حرف جر ، ثم الأهم من ذلك كله أن يتغير معنى الفعل بسبب حرف الجر ، كما نص عليه ابن كثير فى تفسيره .

وقد وضعت الأفعال مرتبة ترتيباً ألفبائياً ، حسب حروف المعجم ، وقد كانت صيغة الماضى فى كل فعل عنوان الحديث عن تفصيل مواضعه فى القرآن الكريم ، وكيف تغير بسبب حرف الجر .

بَخَس :

بخس المكيال والميزان بَخْسا نَقَصه ، وبخس فلانا عابه ، وظَلَمه ، وبخس الرجلَ حقَّه نقصه إياه ، وفى القرآن الكريم [١] : " ولا تبخسوا الناس أشياءهم " .

وأول ما يلاحظ على هذا الفعل أنه يتعدى إلى مفعولين [٢]، ففى الآية السابقة تعدى إلى (الناس – أشياءهم) .

وثانى الملاحظات أن الفعل وقع فى القرآن الكريم مضارعاً فقط ، لم يأت فى الماضى أو الأمر ، وجاء فى مواضع ثلاثة متعدياً بنفسه إلى المفعولين ، وبدون حرف جر فى الآية السابقة التى وقعت ثلاث مرات [٣] كما هى : " ولا تبخسوا الناس أشياءهم " .

ولكن الفعل وقع مع حرف الجر فى موضع واحد " ولا يبخس منه شيئا [٤] " قال ابن كثير [٥] : " أى لا يكتم منه شيئا " أما هل تتعلق من بـ (يبخس) ؟ فيجيب العكبرى [٦] : " يجوز أن يتعلق (من) بيبخس ، ويكون لابتداء غاية البَخْس ، ويجوز أن يكون التقدير : شيئا منه ، فلما قدمه صار حالا ، والهاء للحق " أى لا يكتم شيئا من الحق .

على أية حال فالرأى أن يتعلق (من) بالفعل (يبخس) ولا حاجة إلى التقدير ، وتقديم (شيئا) على (منه) لأن الآية جاءت بتقديم الجار والمجرور على (شيئا) فلا مبرر لأن نقدر غير

---

[١] – المعجم الكبير ١ / ١٠٩ .

[٢] – السيد ، الدكتور عبد الحميد : الأفعال فى القرآن الكريم ١ / ١٦٩ .

[٣] – ٨٥ الأعراف ، ٨٥ هود ، ١٨٣ الشعراء .

[٤] – ٢٨٢ البقرة .

[٥] – ١ / ٣٣٥ .

[٦] – إملاء ما منّ به الرحمن ١ / ١١٨ .

ما جاء فى الآية ، فلاشك أن هذا التقديم قصد إلى توكيد الجار والمجرور ، فلا يكتم منه شيئا أى شىء .

وهكذا تغير معنى الفعل (يبخس) من (نَقَص) إلى (كتم) مع حرف الجر (من) .

ابتغى :

ابتغى الشىء طلبه ، وفى القرآن الكريم : " فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون [1] " وابتغى اجتهد فى طلبه [2] ، وفى القرآن الكريم : " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا [3] " .

وقد وقع الفعل فى القرآن الكريم أربعا وثلاثين مرة ، جاء فى الماضى والمضارع والأمر [4] ، ويلاحظ على هذا الفعل ما يلى :

١-جاء الفعل متعديا بنفسه [5] ، وبدون تعلق فى بعض المواضع ، مثل " لقد ابتغوا الفتنة [6] – ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه [7] • أفغير الله أبتغى حكما [8] " .

٢-تغير معنى الفعل مع حرف الجر فى بعض المواضع :

أ – " وأحل لكم ما وراء ذلك أن تبتغوا بأموالكم محصنين ، غير مسافحين [9] " فسر ابن كثير [10] : " تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو السرارى ، بالطريق الشرعى " وهكذا تغير معنى الفعل من (يطلب) أو (يجتهد فى الطلب) إلى (يحصل) وهو معنى مخالف تماماً للأول يصل إلى حد التضاد .

ب- " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة " قال ابن كثير [11] : " استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك والتقرب إليه .. " فقد جاء معنى الفعل هنا (استعمل) وليس (اطلب) أو (اجتهد فى الطلب) .

---

[1] – ٧ المؤمنون .

[2] – المعجم الكبير ٢ / ٤٧٧ .

[3] – ٧٧ القصص .

[4] – معجم ألفاظ القرآن الكريم ، انظر ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

[5] – الأفعال فى القرآن الكريم ١ / ٢٢٠ .

[6] – ٤٨ التوبة .

[7] – ٨٥ النساء .

[8] – ١١٤ الأنعام .

[9] – ٢٤ النساء .

[10] – ١ / ٤٧٤ .

[11] – ٣ / ٣٩٩ .

جـ- " يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة [1] " قال ابن كثير [2] : " تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه " لقد جاء معنى (ابتغوا) فى الآية (تقرَّبوا) .

د - ومن ناحية أخرى فقد جاء الفعل مع حرف الجر (من) فى نصف مواضعه فى القرآن الكريم ، فى سبعة عشر موضعاً لم يسجل ابن كثير أى تغيير فى المعنى .

وهكذا تغير معنى الفعل مع حروف الجر (الباء - فى - إلى) فيما ذكر من مواضع ولم يتغير فى غيرها ، سواء مع ذات الحروف ، أو مع غيرها ، خاصة (من) التى وردت فى نصف مواضع الفعل ، كما ذُكر .

ترك :

جاء فى العجم الكبير [3] : " ت ر ك : التَّرك التخلى عن الشىء ، وترك الشىء تركاً وتركانا تخلّى عنه وودّعه ، وفى القرآن الكريم : إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله [4] ..." .

وأول ما يلاحظ على الفعل (ترك) فى القرآن الكريم أنه جاء فى مواضع عديدة متعديا بنفسه ، بدون حرف جر ، وبدون تعلق ، بهذا المعنى الذى ذكر ، مثل : " إن [5] ترك خير الوصية " وقد بلغت هذى المواضع ستة وعشرين فى حين جاء الفعل مع حرف جر أو اثنين فى أحد عشر موضعاً ، وهاك التفصيل :

١-جاء الفعل غير متعدٍ بنفسه ، بل بحرف جر ، ودخل عليه حرفا جر ، هما (على - فى) فى مواضع أربعة من سورة واحدة هى الصافات ، وبمعنى واحد :

- وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على نوح فى العالمين .
- وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم .
- وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على موسى وهارون .
- وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إلياسين .

---

[1] - ٣٥ المائدة .

[2] - ٢ / ٥٢ .

[3] - ٣ / ٦٦ .

[4] - ٣٧ يوسف .

[5] - ٧٨ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٢٩ الصافات .

قال ابن كثير[1] : " وتركنا عليهما فى الآخرين ، أى أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ، ثم فسره بقوله تعالى : سلام على موسى وهارون ، إنا كذلك نجزى المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين " .

وفى موضع آخر يقول ابن كثير[2] : " وتركنا عليه فى الآخرين ... أبقى الله له الثناء الحسن فى الآخرين ، بقوله : سلام على نوح فى العالمين ، مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل ، والثناء الحسن ، أنه يُسلِّم عليه فى جميع الطوائف والأمم " .

وهكذا تغير المعنى مع حرفى الجر (على – فى) من (تخلَّى وودَّع) إلى العكس ، أى (أبقى) وهكذا استخدم الفعل فى معنيين متضادين ، هما (الترك) و(الإبقاء) ولكن هذا المعنى الأخير كان بسبب وجود حرفى الجر السابقين .

٢–ومن ناحية أخرى فإن الفعل (ترك) فى موضعين دخل عليه حرفان من حروف الجر أيضاً هما (على – من) فى : " ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة[3] – ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة[4] " .

ولكن يلاحظ أن حرف الجر الثانى (من) حرف زائد فى الآيتين ، تقدير الكلام (ما ترك عليها دابة – ما ترك على ظهرها دابة) والمعنى فى كليهما : " لأهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بنى آدم[5] " .

وعليه فقد أصبح معنى (ترك) فى الآيتين (أهلك) ، لكن مع ملاحظة دور السياق فى معنى الفعل هنا ، نَفْى الفعل بما ، واستخدام كلمة (ظهرها) أو الضمير فى (عليها) واستخدام كلمة (دابة) منكرة مسبوقة بحرف الجر الزائد (من) كل هذا شارك فى تغيير المعنى ، إضافة إلى دور حرفى الجر (على – من) فى المعنى .

٣–وقد جاء الفعل (ترك) فى موضعين مع حرف الجر (فى) مع اللام مرة ، وأخرى مع (فى) وحدها :

- وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم[6] .
- ذهب الله بنورهم ، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون[7] .

---

[1] – ٤ / ١٩
[2] – ٤ / ١٢ .
[3] – ٦١ النحل .
[4] – ٤٥ فاطر .
[5] – ابن كثير ٢ / ٥٧٣ ، وانظر أيضا ٣ / ٥٦٢ .
[6] – ٣٧ الذاريات .
[7] – ١٧ البقرة .

فى تفسير ابن كثير [1] : "وتركنا فيها آية ... أى جعلناها عِبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة " ولكن ابن كثير [2] لم يسجل معنى مختلفا للآية الثانية ، أو بمعنى آخر لم يكن المعنى واحدا ، ففى الآية الأولى حرفا جر (فـــى - اللام) ، وفى الثانية (فى) فقط .

٤-بقى موضعان جاء الفعل مع حرف الجر (من) وحده هما :

- وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا [3] .
- كم تركوا من جنات وعيون [4] .

وبرغم وجود حرف الجر (من) فإن الفعل فى الموضعين لم يتغير معناهما [5] .

خلاصة ما سبق أن الفعل (ترك) تغير معناه بسبب حرف الجر ، إذا دخل عليه حرفـان وأن للسياق دورا مشاركا فى تغيير المعنى فى بعض المواضع .

جاهد :

فى لسان العرب [6] : " الجَهْد ما جَهَد الإنسان من مرض ، أو أمر شاق ... الاجتهاد بذل الوسع فى طلب الأمر ... جاهد العدوَ مجاهدة وجهادا قاتله ، وجاهد فى ســبيل الله ... الجـــهاد محاربة الأعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قــول أو فعــل ... الجـــهاد المبالغة واستفراغ الوسع فى لحرب ، أو اللسان ، أو ما أطاق من شىء " .

وعليه فالجهاد كما جاء فى اللسان استفراغ الوسع فى حرب العدو ، بالقتال أو باللســـان قال تعالى : " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتـــابوا ، وجــاهدوا بأموالـــهم وأنفسهم فى سبيل الله [7] " فى تفسير ابن كثير [8] : " وجاهدوا بأموالهم وأنفســـهم ، أى : وبذلــوا مهجهم ونفائس أموالهم فى طاعة الله ورضوانه " فإن قمة الجهاد أن يبذل الإنسان نفسه ومالـــه فى سبيل الله ومرضاته .

---

[1] - ٤ / ٢٣٦ .
[2] - انظر ١ / ٥٣ .
[3] - ٩ النساء .
[4] - ٢٥ الدخان .
[5] - ابن كثير : انظر ١ / ٤٥٦ ، ٤ / ١٤١ .
[6] - ٤ / ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ .
[7] - ١٥ الحجرات .
[8] - ٤ / ٢١٩ .

وقد جاء الفعل مع حرف الجر (فى) فى خمسة عشر موضعا فى القرآن الكريم ، وفى كل هذه المواضع لم يتغير معنى الفعل ، بل كان حرب العدو ، ببذل المال والنفس .

وجاء الفعل مع حرف الجر (من) فى موضعين ، منها : " أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم [1] " ولكن المعنى لم يتغير .

ومع الباء فى تسع مرات ، فإن جاء معها (فى) لم يتغير المعنى ، وهو ما جاء فى أربعة مواضع منها " وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله [2] " ولا تغيير فى المعنى ، لأن الباء دخلت على أقصى ما يمكن أن يقدمه الإنسان ، وهما النفس والمال ، وكذا أتت وحدها مع الباء ودخلت على الكلمتين السابقتين ، فلم يتغير المعنى .

فإن دخلت الباء على غير الكلمتين تغير المعنى ، وجاء هذا فى موضع واحد ، هو "وجاهدهم به جهاداً كبيراً [3] " جاء فى تفسير [4] ابن كثير : " قال تعالى : فلا تطع الكافرين وجاهدهم به ، يعنى بالقرآن " وفى الكشاف [5] : " والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك ، فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجزك بما تغلبهم به ، وتعلوهم ، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام " .

ويفهم مما سبق أن الجهاد هنا باللسان ، لأن الرسول - ﷺ - أمر أن يجاهد الكفار بالقرآن ، أى بحججه وبراهينه ، وقد كان لحرف الحرف الجر (الباء) أن جعل هذا الجهاد باللسان ، أى تخصيص المعنى ، من الجهاد بشكل عام إلى نوع منه .

وقد أدى حرف الجر دوره هنا بتعاون السياق معه ، فالفعل تعدى بنفسه إلى المفعول الضمير (هم) الذى يعود على الكفار ، والمجرور الهاء فى (به) الذى يعود على القرآن الكريم.

ومن ناحية أخرى فإن الفعل (جاهد) قد تحول معناه من (محاربة الأعداء والمبالغة واستفراغ الوسع فى الحرب أو اللسان ...) الخ إلى مجرد الحرص على فعل شىء ، جاء هذا فى موضعين ، أحدهما مع (اللام) والأخرى مع (على) قال تعالى : " وإن جاهداك لتشرك بى [6] - وإن جاهداك على أن تشرك بى [7] " .

---

[1] - ١٦ التوبة .
[2] - ٧٢ الأنفال .
[3] - ٥٢ الفرقان .
[4] - ٢ / ٣٢١ .
[5] - ٣ / ١٠١ .
[6] - ٨ العنكبوت .
[7] - ١٥ لقمان .

والمعنى فى كليهما : " وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إن كانا مشركيْن فلا تطعهما فى ذلك [1] " والحرص على الشيء هو أقل من (المحاربة والمبالغة واستفراغ الوسع) .

وقد أدى حرفا الجر (اللام – على) دورهما فى تضييق المعنى هنا بتعاون السياق معهما أيضاً ، فالفعل متعدٍ بنفسه إلى المفعول المذكور ، الكاف فى (جاهداك) وذكر ما يحرص عليه ، والتصريح به ، وهو الشرك بالله .

وإذا كان حرف الجر ليس واحداً ، مرة جاء الفعل مع (السلام) أى : لام التعليل وأخرى مع (على) فإن هذا الأخير من معانيه التعليل [2] ، كما جاء فى قوله تعالى : " ولتكبروا الله على ما هداكم [3] " أى لهدايتكم .

خلاصة ما سبق أن الفعل (جاهد) تغير معناه بسبب بعض حروف الجر (الباء – اللام – على) ولكن مع تعاون السياق معه ، كما سبق .

أَخْلد :

خَلَد بالمكان وأَخْلَد أطال به الإقامة ، وخَلَد فى النعيم بقى فيه أبدا ، وخلَّده الله وأخلَده هذا ما نص عليه الزمخشرى [4] ، والذى يشير إلى أن الفعل (خلَد) لازم ، يتعدّى بالتضعيف أو بالهمزة ، كما جاء فى " يحسب أن ماله أخلده [5] " لقد تعدى الفعل إلى مفعوله (الهاء) بدون حرف جر ، بل بالهمزة .

لكن الفعل (أخلد) جاء فى القرآن الكريم غير متعدٍ بنفسه ، بل بحرف الجر (إلى) قال تعالى : " ... ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه [6] " قال ابن كثير [7] : " أى : مال إلى زينة الحياة الدنيا ، وزهرتها ، وأقبل على لذاتها ونعيمها ، وغرته كما غرت غيره من أولى البصائر والنهى " ، وفى الكشاف [8] أيضاً : " مال إلى الدنيا ورغب فيها ، وقيل مال إلى السفالة".

---

[1] – ابن كثير ٣ / ٤٠٥ ، ٤٤٥ .

[2] – الجنى الدانى ، ص ٤٧٧ .

[3] – ١٨٥ البقرة .

[4] – أساس البلاغة ١ / ٢٤٥ .

[5] – ٣ الهمزة .

[6] – ١٧٦ الأعراف .

[7] – ٢ / ٢٦٥ .

[8] – ٢ / ١٠٤ .

إذن تغير معنى الفعل (أخلد) من (إطالة الإقامة ودوامها) إلى (مال إلى) عندما تعدى بحرف الجر (إلى) كما جاء فى آية " أخلد إلى الأرض " .

حَمَل :

فى معجم [1] ألفاظ القرآن الكريم : " حمل أقلَّ ورفع ، قال تعالى : وقد خاب من حمل ظلماً [2] – ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما [3] ، وحملت المرأة حَبِلت ، قال تعالى : فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً [4] – فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً [5] " .

وأبرز ما يلاحظ على هذا الفعل فى القرآن الكريم أنه لم يأت متعدياً بحرف الجر إلا فى موضع واحد فقط ، هو : " إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث [6] " فى حين جاء فى باقى المواضع متعدياً بنفسه ، أى بدون حرف جر يتعدى به .

ومعنى تحمل عليه كما ذكر ابن كثير [7] (تزجره) وليس (يُقلّ أو يرفع) فإن تعديه بحرف الجر (على) قد أدى إلى هذا التغيير فى المعنى .

ولكن حرف الجر (على) قد جاء مع ذات الفعل فى موضع آخر ، وكان المعنى شيئاً آخر ، قال تعالى : " ربنا : ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا [8] " فى تفسير ابن كثير [9] : " أى لا تكلفنا من الأعمال الشاقة ، وإن أطقناها ، كما شرعته للأمم قبلنا من الأغلال والآصار التى كانت عليهم " .

وعليه فإن (تحمل علينا) معناها (تكلفنا – تشرع لـ) وهو مختلف عن (تزجر) الذى سبق ؟ والسبب أن الفعلين (تحمل علينا إصراً – حملته على) لم يتعديا بحرف الجر ، بل بنفسيهما تعديا ، وإن كان الجار والمجرور (علينا – على الذين ...) قد تعلقا بالفعلين (تحمل – حملته) .

---

[1] – انظر ١ / ٣٢١ .

[2] – ١١١ طه .

[3] – ١٤٦ الأنعام .

[4] – ١٨٩ الأعراف .

[5] – ٢٢ مريم .

[6] – ١٧٦ الأعراف .

[7] – انظر ٢ / ٢٦٧ .

[8] – ٢٨٦ البقرة .

[9] – ١ / ٣٤٣ .

وهكذا تغير معنى الفعل مع حرف الجر (على) ، وإن اختلف هذا التغيير عندما تعدى الفعل بنفسه ، أو بواسطة حرف الجر (على) .

وقد جاء الفعل مع حروف جر أُخَر ، ولكن ابن كثير [1] لم يسجل معنى مختلفا لها مثل : " حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون [2] – وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس[3]".

ومن ناحية أخرى جاء الفعل متعديا بنفسه ، وجاء معه حرف الجر (على) وذلك فى ثلاثة مواضع منها : " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم [4] " ومع هذا لم يتغير المعنى ، فى حين تغير فى " ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا " والسبب فى كل السياق لقد تغير المعنى بسبب استخدام كلمة (إصراً) أى " ما يثقل على الإنسان من أمر " وبسبب جملة " كما حملته على الذين من قبلنا " فى حين جاء السياق فى المواضع التى لم يتغير فيها المعنى مقتضياً بقاء المعنى كما هو ، أى (أقلّ ورفع) .

وهكذا يتضح أن السياق له دور مشارك فى تغيير المعنى مع حرف الجر ، وهو ما ظهر فى أفعال أخرى سلفت .

ذرأ :

فى القاموس المحيط [5] : " ذرأ كجعل خلَق ، والشىء كثّر ومنه الذرية ، مثلثة لنَسْل الثقلين " ومنه قول الله : " وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا [6] – وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه[7] " ، قال ابن كثير [8] : " وجعلوا لله مما ذرأ ، أى مما خلق وبرأ " وهنا لا يُرى لحروف الجر (من – اللام – فى) فى الآيتين أى دور فى معنى الفعل (ذرأ) .

---

[1] – انظر ٢ / ٣٨٢ .

[2] – ٤١ يس .

[3] – ٧ النحل .

[4] – ٣١ الأنعام ، والموضعان الآخران ١٣ القمر ، ٩٢ التوبة .

[5] – ١ / ١٥ .

[6] – ١٣٦ الأنعام .

[7] – ١٣ النحل .

[8] – ٢ / ١٧٩ ، وانظر أيضاً ٢ / ٥٦٤ .

ولكن الفعل جاء مع حرف الجر (فى) وحده ، وهنا يظهر للفعل معنى آخر : " وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون [1] - قل هو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون [2] " فى تفسير ابن كثير [3] : " قل هو الذى ذرأكم فى الأرض ، أى بثكم ونشركم فى أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم فى لغاتكم وألوانكم ، وحلاَّكَم وأشكالكم ، وإليه تحشرون ، أى تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ، ويعيدكم كما بدأكم " .

ويبدو أن توسعا قد حدث للمعنى فإن (بث ونشر) تفيد بالتبعية (خلَق) فإن البث والنشر لا يكونان إلا بعد عملية الخلق ، والذى يأتى أولاً .

يضاف إلى ما سبق أن السياق كان له دور مشارك لحرف الجر (فى) الذى أتى وحده مع الفعل (ذرأ) فى حين جاء مع (اللام) فى " وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه " حيث لا تغيير فى معنى الفعل .

كما يلاحظ أن الفعل فى الآية الأخيرة لم يتعد بنفسه ، بل بحرف الجر ، بيد أن العكبرى [4] يضيف معنى آخر حين يقول : " وما ذرأ لكم ، أى وخلق ، أو وأنبت ، ومختلفاً حال منه " من الفعل (ذرأ) وعليه فقد أضاف العكبرى معنى آخر للفعل فى الآية السابقة ، هو (أنبت) فمعنى " ذرأ لكم فى الأرض " أى أنبت لكم فيها .

على أية حال فإن الفعل (ذرأ) فى آيتى " ذرأكم فى الأرض " جاء متعديا بنفسه، فضلاً عن وجود حرف الجر (فى) معه ، وعليه فإن السياق قد اشترك مع حرف الجر فى تغيير المعنى أو توسيعه .

بقى موضعان للفعل (ذرأ) لما يُشَرْ إليهما :

أ - " جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، يَذرؤكم فيه [5] " قال ابن كثير [6] : " ومن الأنعام أزواجاً ، أى خلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، وقوله تبارك وتعالى : يذرؤكم فيه ، أى يخلقكم فيه ، أى فى ذلك الخلق على هذه الصفة ، لا يزال يذرؤكم فيه ذكورا وإناثا ، خلقا من بعد خلق وجيلاً بعد جيل ، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام ، وقال البغوى : يذرؤكم فيه ، أى فى

---

[1] - ٧٩ المؤمنون .

[2] - ٢٤ الملك .

[3] - ٤ / ٣٩٩ .

[4] - إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٧٩ .

[5] - ١١ الشورى .

[6] - ٤ / ١٠٨ .

الرحم ، وقيل فى البطن ، وقيل فى هذا الوجه من الخلقة ، وقيل (فى) بمعنى (البـاء) أى يذروكم به".

وعليه فلا يظهر تغير فى معنى الفعل (يذرؤكم) إذ نص ابن كثير على أن معنى (يذرؤكم فيه) أى يخلقكم ، وإن كان قد أشار إلى أن (فى) هنا بمعنى (الباء) قال المرادى [1] : " وذكر بعضهم أن (فى) فى قوله تعالى : يذروكم فيه ، بمعنى الاستعانة ، أى : يكثِّركم بـه " وهنا يضيف المرادى معنى آخر للفعل غير (يخلقكم) وهو (يكثركم) .

ب- " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس [2] " فسر ابن كثير[3] : " ولقد ذرأنـا ، أى خلقنا وجعلنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، أى هيأنا لها ، وبعمل أهلها يعملون " فـابن كثير فسر (ذرأ) بـ (خلق) ثم (جعل) وأخيراً (هيأنا) وهذا المعنى الأخير هو نـوع من التوسع ، لأن التهيئة لا تأتى إلا بعد الخلق .

على أية حال فقد كان لحرف (اللام) دور فى المعنى ، حيث تغير المعنى ، أو توسع من (خلق) إلى (هيّأ) .

خلاصة ما سبق ، أن الفعل (ذرأ) معناه (خلق) ، وقد جاء هذا المعنى فـى بعض الآيات ، وتغير المعنى فى بعضها – كما أشار ابن كثير – إلى معان أُخر ، مثل (بث ونشـر – هيأ) وهو نوع من التوسع فى المعنى ، كان لحرف الجر دور فى المعنى ، يعاونه السياق ، كما كان فى أفعال أخرى سلفت .

رغب :

وقع هذا الفعل فى القرآن الكريم أربع مرات فقط ، وهو عدد قليل مقارنة بغـيره من الأفعال ، لا شيء منه فى الماضى ، وإنما جاء مرة واحدة فى [4] الأمر : " وإلى ربك فارغب [5] " والثلاثة الأُخر فى المضارع .

وقد جاء الفعل مع حرف الجر (عن) فى موضعين فقط ، وفى موضع بدون حـرف جر من أى نوع ، ومع حرف الجر (إلى) فى موضع واحد ، كما سبق .

---

[1] – الجنى الدانى ، ص ٢٥١ .

[2] – ١٧٩ الأعراف .

[3] – ٢ / ٢٦٨ .

[4] – المعجم المفهرس : انظر ص ٣٢٢ .

[5] – ٨ الشرح .

ففى آية " ... وترغبون أن تنكحوهن [1] " قال ابن كثير [2] : " المقصود أن الرجل إذا كان فى حجره يتيمة يحل له تزويجها ، فتارة يرغب فى أن يتزوجها ... وتارة لا يكون فيها رغبة لدمامتها " ، وقد فسر البحر المحيط [3] عدم وجود حرف الجر بقوله : " وترغبون أن تنكحوهن هذا اللفظ يحتمل الرغبة فى أن تنكحوهن لمالِهن أو لجمالهن ، والنفرة أى : وترغبون عن أن تنكحوهن لقبحهن ، فتمسكوهن رغبة فى أموالهن " .

وعليه فإن عدم وجود حرف الجر فى الآية قد جعل المفسرين يرون أن المعنى يمكن أن يكون (وترغبون فى نكاحهن) أو العكس (وتنفرون عن نكاحهن) وهذا يعنى أن حرف الجر يؤدى دوره فى تحديد المعنى ، أهو الرغبة أم النفرة ؟ .

وهذا ما حدث عند استخدام حرف الجر (إلى) فى " وإلى ربك فارغب [4] " أى : " اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ، عز وجل [5] " وقد تقدم الجار والمجرور (إلى ربك) على الفعل (فارغب) حتى يتسق مع فاصلة الآية السابقة عليها " فإذا فرغتَ فانصب [6] " إلا أن الموضع الآخر الذى استخدم فيه حرف الجر (إلى) قد أُشرك معه حرف آخر ، هو (الباء) قال تعالى: " ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه [7] " .

يقول ابن كثير [8] : " يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ... ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة " وفى القاموس [9] المحيط : " رغب بنفسه عنه ، رأى لنفسه عليه فضلاً " وهو ما لا يصح أن يقع من أحد قِبَل رسول ﷺ فقد تركه بعض أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب يعانى ما كان من مشقة وشدة فى غزوة تبوك ، لقد ضنوا بأنفسهم أن يشاركوه شيئاً من هاتيك [10] المعاناة .

---

[1] – ١٢٧ النساء .

[2] – ١ / ٥٦١ .

[3] – ٣ / ٣٦٢ ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨٣م .

[4] – ٨ الشرح .

[5] – تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٦ .

[6] – ٧ الشرح .

[7] – ١٢٠ التوبة .

[8] – ٢ / ٤٠٠ .

[9] – ١ / ٧٤ .

[10] – الزمخشرى : الكشاف ، انظر ٢ / ١٧٧ .

وفى كل هذا يتضح دور حرف الجر (الباء) فى معنى الفعل (رغب عن) التى تحول من (نفر من) إلى (رأى لنفسه عليه فضلاً) كما نص القاموس ، أما وظيفة (الباء) نحوياً فهى التعدية ، كما فى : " ذهب الله بنورهم [1] " بدليل القراءة الأخرى : " أذهب الله نورهم " .

فقد قامت الباء الجارة مقام همزة التعدية فى الفعل [2] (أذهب) ، وقام حرف الجر (إلى) و (عن) بتحديد معنى اسم الفاعل من الفعل (رغب) أيضاً ، قال تعالى : " إنا إلى الله[3] راغبون – إنا إلى ربنا راغبون [4] " أى : الرغبة إلى الله وحده [5] ، على عكس المعنى فى : " قال : أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم [6] ؟ " يقول تعالى مخبراً عن جواب أبى إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه : أما تريد عبادة الأصنام ولا ترضاها [7] ، فمعنى (راغب عن) غير راضٍ ، أو غير راغب فيها .

وعليه فإن حرف الجر (إلى) و (عن) يحددان معنى الفعل ، إلى الرغبة أو النفرة الرضى أو عدم الرضا ، كما أن دخول حرف الباء على (رغب عن) قد غير المعنى ، كما سلف ، كل هذا يؤكد دور حرف الجر فى تغيير معنى الفعل ، بل والمشتق من الفعل الذى يقوم بعمله ، كما فى الأمثلة الثلاثة التى مرت .

سكن :

فى لسان العرب [8] : " السكون ضد الحركة ، سكن الشيء يسكن سكوناً إذا ذهبت حركته، وأسْكَنه هو وسكَّنه غيره تسكيناً ، وكل ما هدأ فقد سكن كالريح والحر والبرد ونحو ذلك، وسكن الرجل سكت ... ، وسكن بالمكان يسكن سُكنى وسكونا أقام ، فهو من قوم سكان والسكن والمسكَن المنزل والبيت " .

---

[1] – ١٧ البقرة .

[2] – المرادى : الجنى الدانى فى حروف المعانى ، انظر ص ٣٧ ، ٣٨ .

[3] – ٥٩ التوبة .

[4] – ٣٢ القلم .

[5] – تفسير ابن كثير ٢ / ٣٦٤ .

[6] – ٤٦ مريم .

[7] – تفسير ابن كثير ٣ / ١٢٣ .

[8] – ١٧ / ٣٣ ، ٧٤ .

أما الفعل (سكن) فقد جاء فى بعض مواضعه متعدياً بنفسه ، ودون حرف من حروف الجر : " اسكن أنت وزوجك الجنة [1] - اسكنوا هذه القرية [2] - اسكنوا الأرض [3] " والفعل هنا فى جميع مواضعه بمعنى (أقام) وليس بمعنى (هدأ) .

ولكن باقى المواضع - وهى عشرة - جاء الفعل لازماً ، قد تعدى بحرف من حروف الجر (فى) أو (من) أو (إلى) أو جاء معه حرف مما سبق .

بعض هذى المواضع جاء بمعنى أقام ، مثل : " وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا [4] - أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم [5] " وكذا فى : " وله ما سكن فى الليل والنهار[6] " قال ابن كثير [7] : " أى كل دابة فى السماوات والأرض ، الجميع عباده وخلقه " ، ومعنى هذا (لله كل دابة سكنت وأقامت فى أى مكان بالليل أو بالنهار) .

ولكن الفعل جاء بمعنى آخر مع حرف الجر (فى) قال تعالى : " هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه [8] " قال ابن كثير [9] : " أى يستريحون من نصبهم وكلالهم وحركاتهم " ولكن (يستريح) يختلف عن (يهدأ) هذا المعنى للفعل (سكن) الذى نقلناه عن لسان العرب .

ويبدو أنه حدث اتساع للمعنى ، من (هدأ) إلى (استراح) مع وجوب الإشارة إلى أن السياق له دور فى المعنى هنا ، إذ السكن فى الليل لا يكون إلا الاستراحة من الحركة والنَصَب والكلال .

أما السكن فى الليل والنهار فإن المعنى يختلف ، كما سبق فى آية : " وله ما سكن فى الليل والنهار " فأما قول الله : " جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله [10] " فقد فسر ابن كثير [11] " جعل لكم الليل ، أى خلق هذا وهذا ، لتسكنوا فيه ، أى فى الليل ، ولتبتغوا

---

[1] - ٣٥ البقرة ، ١٩ الأعراف .

[2] - ١٦١ الأعراف .

[3] - ١٠٤ الإسراء .

[4] - ٤٥ إبراهيم .

[5] - ٦ الطلاق .

[6] - ١٣ الأنعام .

[7] - ٢ / ١٢٥ .

[8] - ٦٧ يونس .

[9] - ٢ / ٤٢٤ .

[10] - ٧٣ القصص .

[11] - ٣ / ٣٩٨ .

من فضله ، أى فى النهار بالأسفار والترحال والحركات والأشغال ، وهذا من باب اللف والنشر" ويعرَّف اللف والنشر بأنه : " ذكر متعدد مفصل أو مجمل ، ثم ذِكر لكل من آحاده بلا تعيين اتكالا على أن السامع يرُدّ إلى كلٍ ما يليق به لوضوح الحال ... كقوله تعالى : " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله ، فقد جمع بين الليل والنهار بواو العطف ، ثم أضيف إلى كلٍ ما يليق به ، فأضيف السكون إلى الليل ؛ لأن فيه النوم والراحة وابتغاء الرزق إلى النهار لما فيه من الكد والعمل [1] " .

على أية حال فإن الفعل (سكن) تغير معناه بشكل واضح مع حرف الجر (إلى) وقد جاء هذا فى موضعين " خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها [2] – وجعل منها زوجها ليسكن إليها [3] " قال ابن كثير [4] : " ليألفها ويسكن بها " وهكذا تحول معنى الفعل (يسكن) من (يهدأ) إلى (يألف) إذا جاء معها حرف الجر (إلى) كما رأينا فى المثالين .

خلاصة ما تقدم أن الفعل (سكن) تغير معناه مع حرفى الجر (فى – إلى) مع دور معاون للسياق مع الأول (فى) .

شدَّ :

الشدة الصلابة ، وهى نقيض اللين ، وكل ما أُحكم فقد شُدَّ وشُدِّد ، وشىء شديد مشتد قوى ، وشدَّد الله ملكه قواه [5] ، وهكذا جاء معنى الفعل (شدَّ) فى القرآن الكريم ، فى خمسة من مواضعه الستة ، وهذا ما يظهر من مراجعة السياق الذى ورد فيه الفعل فى هذى المواضع [6] .

قال تعالى : " وشددنا ملكه [7] " أى : قويناه [8] ، ويفسر ابن كثير [9] : " جعلنا ملك سليمان ملكا كاملا من جميع ما يحتاج إليه الملوك ... كان أشد أهل الدنيا سلطانا " .

---

[1] – المراغى ، أحمد مصطفى : علوم البلاغة ، البيان والمعانى والبديع ، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ ، بيروت (بدون تاريخ).

[2] – ٢١ الروم .

[3] – ١٨٩ الأعراف .

[4] – ٢ / ٢٧٤ ، وانظر ٣ / ٤٢٩ .

[5] – لسان العرب ٤ / ٢١٨ .

[6] – المعجم المفهرس ، انظر ص ٣٧٦ .

[7] – ٢٠ ص .

[8] – لسان العرب ٤ / ٢١٨ .

[9] – ٤ / ٣٠ .

ويلاحظ على هذى الأفعال فى مواضعها الخمسة أنها تتعدى بنفسها ، وبرغم هـــذا قــد يكون لها تعلق ، فيأتى حرف جر ، مثل الباء " اشدد به أزرى [١] – قال سنشدّ عضدك بـأخيك [٢]" وهنا لا يظهر لحرف الجر أثر فى المعنى .

ولكن الفعل (اشدد) جاء متعديا بـــ (على) فى قوله تعالى : " ربنــا اطمــس علــى أموالهم ، واشدد على قلوبهم [٣] " وهنا اختلف المعنى ، جاء فى تفسير ابن كثير [٤] : " واشدد على قلوبهم ، أى : اطبع عليها " قال تعالى : " كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين [٥] " .

وفرق كبير بين (قوّى) وبين (طبع على) وسبب الاختلاف فى المعنى تعدى الفعــل بحرف الجر (على) أو بعبارة أخرى بسبب وجود حرف الجر (على) مع الفعل (اشدد) .

ظاهَرَ :

فى لسان العرب [٦] : " ظاهر فلان فلانا عاونه ، والمظاهرة المعاونة ، وظاهر أى نصر وأعان ... وظاهر عليه أعان " قال تعالى : "وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم [٧]" أى : ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم ، وأخرجوكم ، وعاونوا على إخراجكم [٨] " .

وقد يأتى الفعل (ظاهر) متعديا بنفسه : " ولم يظاهروا [٩] عليكم أحدا – وأنزل الذيــــن ظاهروهم [١٠] من أهل الكتاب " وفى كل ما سبق من المواضع نجد الفعل بمعنى عاون أو أعـــان وقد جاء مع الفعل حرف الجر (على) فى موضعين ، وفى موضع واحد جاء حـــرف الجــر (من) لكن مع تعدى الفعل بنفسه " ظاهروهم من أهل الكتاب [١١] " .

---

[١] – ٣١ طه .
[٢] – ٣٥ القصص .
[٣] – ٨٨ يونس .
[٤] – ٢ / ٤٢٩ .
[٥] – ١٠١ الأعراف .
[٦] – ٦ / ١٩٨ ، ١٩٩ .
[٧] – ٩ الممتحنة .
[٨] – ابن كثير ٤ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
[٩] – ٤ التوبة .
[١٠] – ٢١ الأحزاب .
[١١] – ٢١ الأحزاب .

بيد أن الفعل (ظاهر) جاء لازما غير متعد بنفسه ، ولكن بحرف الجر (من) وهو ما كان فى مواضعه الثلاثة فى القرآن الكريم : " الذين يظاهرون منكم من نسائهم [١] – والذين يظاهرون من نسائهم [٢] – تظاهرون منهن [٣] " .

والمعنى فى (ظاهر من) مختلف عما سبق فى عاون أو أعان ، إنه كما نص ابن كثير[٤] : " أصل الظهار مشتق من الظهر ، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته، قال لها : أنتِ علىّ كظهر أمى ، ثم هو فى الشرع الظهار فى سائر الأعضاء قياسا على الظهر، فأرخص الله لهذه الأمة ، وجعل فيه كفارة ، ولم يجعله طلاقاً ، كما كانوا يعتمدونه فى جاهليتهم".

وعليه يمكن القول إن الفعل (ظاهر) إذا تعدى بحرف الجر (من) كان بمعنى (قال لزوجه : أنت على كظهر أمى) والذى كان طلاقا عند العرب قبل الإسلام ، ثم أصبح (الظهار) الذى يعاقب صاحبه بالكفارة ، وليس بالطلاق ، أما إذا تعدى الفعل بـ (عن) أو جاء متعدياً بنفسه مع (عن) أو حتى (من) كان معناه (عاون) أو (أعان) وهكذا .

غَرَّ :

غَرَّه غرًّا وغُرورا وغِرّةً خدعهُ وأطمعه بالباطل ، فاغتر هو والغَرور الدنيا ، وغَرَّر بنفسه تغريرا عرضها للتهلكة [٥] ، قال الزمخشرى [٦] : " صبَّحهم الجيش وهم غارّون ، أى : غافلون ، ويقال : " أغرّ من ظبى مُقمِر ؛ لأنه يخرج فى الليلة المقمرة ، يرى أنه النهار فتأكله السباع ، ولم يزل يطلب غِرّته حتى صادفها ، وأصاب منه غرة فبطش به ، وما غرك به ؟ أى: كيف اجترأت عليه ، قال تعالى : " ما غرك بربك الكريم [٧] ؟ " .

وعليه فإن الفعل (غرَّ) تغير معناه فى الآية إلى (كيف اجترأت – أيها الإنسان- على ربك الكريم) ، ولم يأت بهذا المعنى إلا مع حرف الجر الباء ، ولم يأت بهذا المعنى مع غير الباء ، كما سيأتى .

---

[١] – ٢ المجادلة .

[٢] – ٣ المجادلة .

[٣] – ٤ الأحزاب .

[٤] – ٤ / ٣٢٠ .

[٥] – القاموس المحيط ٢ / ٩٩ .

[٦] – أساس البلاغة ٢ / ١٦٠ .

[٧] – ٦ الانفطار .

على أية حال فإن الفعل (غر) أتى فى معظم مواضعه بدون حرف جر ، وقد جاء هذا فى عشرة مواضع ، منها قوله تعالى : " فلا تغرنكم الحياة الدنيا[1] " أى : لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة [2] " ولا يغرنكم بالله الغُرور [3] " الغرور هو الشيطان ؛ لأنه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه ، ولا يتحقق من ذلك شيء [4].

ولكن الفعل جاء مع (فى) فى موضع واحد " وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون[5] " قال ابن كثير [6] : " أى ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أياما معدودات " .

وعليه فقد تغير معنى الفعل مع حرف الجر (فى) إلى (ثبتهم على دينهم) وقبل ذلك جاء الفعل (غر بـ) بمعنى (اجترأ على) ومن ثم تغير معنى الفعل مع الحرفين (الباء - فى).

فتح :

الفتح نقيض الإغلاق [7] ، فى القاموس المحيط [8] : " فتح ضد أغلق ، وكذا (فتَّح) ضد غلَّق ، قال تعالى : " لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء [9] - وغَلَّقت الأبواب وقالت : هيتَ لك [10] " .

وقد جاءت بهذا المعنى ، ودون حرف جر فى موضع واحد هو : " ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم [11] " وكذا مواضع المبنى للمجهول (فُتِح) فى مواضعها الأربعة

---

[1] - ٣٣ لقمان .

[2] - ابن كثير ٣ / ٤٥٣ .

[3] - ٣٣ لقمان .

[4] - ابن كثير ، انظر ٣ / ٤٥٣ .

[5] - ٢٤ آل عمران .

[6] - ١ / ٣٥٥ .

[7] - لسان العرب ٣ / ٣٦٩ .

[8] - ١ / ٢٣٧ .

[9] - ٤٠ الأعراف .

[10] - ٢٣ يوسف .

[11] - ٦٥ يوسف .

فى القرآن الكريم : " فتحت [١] يأجوج [٢] ومأجوج – فتحت أبوابها [٣] – وفتحت أبوابها [٤] – وفتحت السماء [٥] فكانت أبوابا ".

ولكن الفعل (فتح) جاء مع حرف الجر (اللام) فى موضعين اثنين ، أحدهما : " إنا فتحنا لك [٦] فتحاً مبيناً " ، ومعنى (فتحنا لك) نصرناك على عدوك [٧] ، وهكذا تحول معنى (فتح) من (الفتح) ضد الإغلاق إلى (نصر) إذا جاء مع حرف الجر اللام .

والموضع الآخر الذى جاء مع اللام : " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها [٨] " وهنا لا تغيير فى معنى الفعل بسبب حرف الجر (اللام) على عكس الموضع السابق : " إنا فتحنا لك " وسوف نتعرض لتفسير ذلك فيما بعد .

وجاء الفعل (فتح) مع حرف الجر (الباء) فى موضع واحد أيضاً : " ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر [٩] " قال ابن كثير [١٠] : " فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم" والباء هنا للتعدية ، وهى باء الاستعانة ، كما نقول : (فتحت الباب [١١] بالمفتاح) وقطعت بالسكين) ، يقول المرادى [١٢] : " والنحويون يعبرون عن هذه الباء بالاستعانة ، وآثرت على ذلك التعبير بالسببية ؛ من أجل الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى ، فإن استعمال السببية فيها يجوز واستعمال الاستعانة لا يجوز " .

على أية حال فلا نرى أن حرف الجر (الباء) قد غَيَّر من معنى الفعل (فتح) فى هذه الآية ، والدور الأكبر فى المعنى كان للمسند إليه (أبواب السماء) وكذا المجرور (الماء) الذى وصف بأنه (منهمر) أى كثيرا [١٣] .

---

[١] – ٩٦ الأنبياء .

[٢] – أى سد يأجوج ومأجوج على حذف المضاف ، انظر – السيد : الأفعال فى القرآن الكريم ٢ / ١٠١٨.

[٣] – ٧١ الزمر .

[٤] – ٧٣ الزمر .

[٥] – ١٩ النبأ .

[٦] – ١ الفتح .

[٧] – الكشاف ٣ / ٤٦١ .

[٨] – ٢ فاطر .

[٩] – ١١ القمر .

[١٠] – ٤ / ٢٦٣ .

[١١] – السيد : الأفعال فى القرآن الكريم ٢ / ١٠١٩ .

[١٢] – الجنى الدانى ، ص ٣٩ .

[١٣] – تفسير ابن كثير ٤ / ٢٦٣ .

الملاحق

فامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين
دراسة في
القراءات واللغة والفقه والبيئة

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

أستاذ علم اللغة بجامعة المنصورة

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

www.geocities.com/abu_elkher
www.askzad.com
abu_elkher@yahoo.com

تقدمة للدراسة

في العام ١٩٨٧م عقد في كليتنا مهرجان على شرف العلامة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - كان المهرجان الثالث في سلسلة مؤتمرات تكريم أعلام دمياط ، والذي افتتح بمهرجان للراحل العظيم - د. شوقي ضيف - ثم د. زكي نجيب محمود ، واستمر هذا التقليد المبارك الذي وضع أسسه عميد كلية تربية دمياط الأسبق ، المرحوم الدكتور محمد أبوالفتوح شريف . واختصارا للاستطراد وتحولا إلى الموضوع زارنا ضمن ضيوف مهرجان بنت الشاطئ زميل من الجزائر اسمه الدكتورعبد الرزاق قسوم ، أستاذ متخصص في الفلسفة - كما حكى سنتها - وبمجرد أن عرفت أنه جزائري حتى انصب الحديث حول : (المغيلي) المغيلي ؟ من يكون الرجل ؟ إنه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ت ١٦٠٣م ، هذا الرجل المجاهد الذي نشأ في منطقة جنوب الجزائر ، ولعب أكبر دور في نشر الثقافة الإسلامية في غرب القارة الإفريقية ، والذي بقي تأثيره في هذي المنطقة إلى يوم الناس هذا ، كما أنه لعب دورا مهما في مقاومة النفوذ اليهودي الذي استشرى في منطقة المغرب العربي ، وغرب إفريقية بشكل عام ، حتى قتلوا ابنه عبد الجبار ، عرفني د. عبد الرزاق على حفيد للمغيلي الذي أرسل لي ما طبع من كتب جده - رحمه الله - كتابان فقط من حوالي الثلاثين كتابا ، كما أعطاني معلومات وفيرة عن معاناة الأسرة المغيلية ، خاصة أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر ، كان محرما على الأسرة أن يزوروا مسقط رأس الإمام ، حيث بقيت قصور اليهود وحصونهم مهدمة إلى يومها ، كما ذكر أن باحثة يهودية قدمت رسالة دكتوراه عن علاقة المغيلي ببني دينها اليهود .

وكان مما ذكره لي د. عبد الرزاق أنه في العام ١٩٨٦م أقيم في الجزائر مهرجان كبير احتفاء واحتفال بالإمام المغيلي وعجبت ساعتها ، كيف أننا في العالم العربي - على الأقل في مشرقه المشرق - لا نعرف شيئا عن ذياك المهرجان ، ولا عن دور المحتفي به .

هل هناك من يغمي علينا ويخبِّئ عنا الحقائق الناصعة ؟ إننا نسمع كثيرا عن زعماء الإصلاح في العالم العربي ، نكاد نحفظ اسمين أو أكثر - مثل الشيخ محمد عبده وشيخه الأفغاني - ثم لا حديث عن دور أو اسم الآخرين ، مع كامل احترامنا والتبجيل للشيخين الجليلين المهيبين .

وكم عجبت للبغاث - طائر ضعيف - في عالمنا العربي والإسلامي يستنسر ويقوى ، الرأي الضعيف المتهافت يقوى وينتشر حتى يطرد الرأي القوى ، ربما إلى ركن صغير ، أو زاوية متوارية عن الأنظار ، وهذا ما وجدته في موضوع الدراسة ، عن موضوع الوضوء ، هل نمسح على الأرجل أم نغسلهما ؟ ومن هنا تبدأ الحكاية ، كيف ؟

بعد انتصاف الليل بثلاث ساعات تقريبا انتهيت من عملي اليومي النمطي ، فتحت التلفاز ، وجدت بعض المتحدثين في الفضائيات يصر على مسح الرجلين في الوضوء ، ليس الغسل ؟ يا إلهي لقد تعودنا طوال حياتنا ممارسة ودراسة على شيء واحد وحيد هو غسل الرجلين فقط ، فمن أين جاء هذا الرجل بذياك الرأي ؟

وعدت بسرعة إلى مكتبتي في ذاك الوقت المتأخر من الليل لأجد أن رأي الشيخ صحيح مائة في المائة ومن ثم كانت فكرة هذه الدراسة ، والتي نبدؤها بالآية الكريمة من سورة المائدة : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[1].

تحدد الآية الأعضاء التي تغسل ، والأخرى التي يمسح بها ، الأولان الوجه واليدان إلى المرفقين ، والآخران الرأس والرجلان إلى الكعبين ، هذي هي النظرة البادهة بداهة إلى الآية .

فما الفرق ـ لغة ـ بين الغسل و المسح ؟ الغسل إزالة الأوساخ بالماء ، والمسح : إمرار اليد المبللة بالماء على الرأس والرجلين ، أو غيرها[2] ، المسح إذن مرور باليد المبللة بالماء على الرأس أو الأرجل ، أما الغسل فهو صب الماء مع التدليك باليد ، كما في غسل الوجه واليدين .

ومن نافلة القول أن يشار إلى أن عناصر الوضوء الأخرى (المضمضة ـ الاستنشاق ـ والمسح على الأذن) .

والآن نعود إلى الآية الكريمة : (... وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ...) ما هي القراءات الواردة في إعراب كلمة (أرجلكم) ؟ ثم توجيه هذي القراءات فيما بعد هذا ، فنقول :

هناك ثلاث قراءات في الكلمة الجر والنصب ، ثم الرفع ، أي :

- وامسحوا برءوسكم وأرجلِكم إلى الكعبين .
- وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين .
- وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين .

فمن قرأ بالرفع ؟ قرأ بالرفع الحسن البصري ت ١١٠هـ ، هو وحده الذي انفرد بقراءة الرفع ، أي (وأرجلكم) . وقرأ بالجر ، أي (وأرجلِكم) :

١ـ عبد الله بن كثير المكي ، ت ١٢٠ هـ
٢ـ أبو عمر أبو العلاء البصري ، ت ١٥٤هـ .
٣ـ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، ت ١٥٤هـ .
٤ـ عاصم بن أبي النجود الكوفي ، ت ١٢٧هـ ، في رواية أبي بكر ، شعبة بن عياش ، ت ١٩٣هـ .

وهؤلاء القراء الأربعة هم من القراء السبعة ، أي قراءاتهم كلها سبعية .

---

(١) الآية السادسة .
(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٨١٤/٢، ١٠٤٣ .

٥- جعفر بن يزيد القعقاع المدني ، ت ١٣٠ هـ .

٦- خلف بن هشام البزار الكوفي ، ت ٢٢٩ هـ .

وهما من القراء العشرة ، أو قراءاتهم عشرية ، أي من القراءات الثلاث الزائدة عن السبع ، أي سبعة ابن مجاهد ، محمد بن أبي بكر ت ٣٢٤هـ .

٧- يحي بن المبارك البصري ، ت ٢٠٢هـ .

٨- محمد بن عبد الرحمن بن محيص المكي ، ت ١٢٣هـ .

٩- سليمان بن مهران الأعمش الكوفي ، ١٤٨هـ .

هؤلاء الثلاثة قراءاتهم شاذة لأنها فقدت شرطا من شروط صحة القراءة ، وهي : (صحة السند - موافقة الرسم - موافقة قواعد العربية) ولذا لا يصح القراءة بها ، لا في الصلاة ، ولا في خارجها ، لكن يصح قراءتها والاحتجاج بها ، ومناقشتها ، والإفادة منها ، خاصة أنها هنا لم تخرج عن القراءات الصحيحة ، السبعية ، أو العشرية .

فمن قرأ بالنصب ؟ أي : (وأرجلكم) قرأ به خمسة من القراء فقط ، أربعة قراءاتهم سبعية ، والخامس قراءته عشرية ، وهو خامس الخمسة هنا :

١- نافع بن أبي نعيم المدني ، ت ١٦٩هـ .

٢- عبد الله بن عامر الدمشقي ، ت ١١٨هـ .

٣- عاصم بن أبي النجود الكوفي ، ت ١٢٧هـ ، في رواية حفص بن سليمان بن المغيرة ، ت ١٨٠هـ .

٤- علي بن حمزة الكسائي ، الكوفي ت ١٨٩هـ .

٥- يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري ، ت ٢٠٥هـ .

ونبدأ بتوجيه القراءات الثلاث [1] في كلمة (وأرجلكم) بادنين بما يلي :

أولا - الرفع : وهي قراءة الحسن البصري - رحمه الله - وقد تفرد بها من بين القراء الأربعة عشر ، والرفع هنا على الابتداء ، أي (وأرجلكم) أرجلكم مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره (ممسوحة) أيضا .

ثانيا - الجر : قراءة الجر توجيهها بادي السهولة واليسر ، والبداهة أيضا ، الواو حرف عطف (أرجلِكم) معطوفة على (رءوسِكم) المجرورة بحرف الجر ، الباء قبلها ، أي : فامسحوا برءوسكم وبأرجلكم أيضا ، أو : فامسحوا برءوسكم ، وامسحوا أيضا بأرجلكم إلى الكعبين .

(1) لمزيد من المعلومات عن هذي القراءات الثلاث يمكن مراجعة :
- أبو الخير ، الأصوات في رواية حفص ، ص ١٤ ، ١٥ .
- البنا الدمياطي ، الاتحاف ، ص ١٩٨.
- ابن الجزري ، النشر ٢٥٤/٢ .
- القسطلاني ، لطائف الإشارات ٩٣/١ وما بعدها .

وبرغم بداهة هذا الإعراب ومنطقيته ومصداقيته ، فإن هناك من زعم أن كلمة (أرجلكم) مجرورة على المجاورة ، وهذا قول فيه إعنات شديد وتمحل وتماحل كبير ، نعم أنا لا أنكر ظاهرة الجر على المجاورة ، إنها واردة في القرآن الكبير ، ليس فقط في هذا الشاهد المتهافت : (هذا حجُر ضبٍ خربٍ) لقد درست ظاهرة المجاورة في العربية في رسالتي للدكتوراه ـ ١٩٨٣ـ واقتبست من العلامة ابن جني ت ٣٩٢هـ تعبيره الدقيق الصائب : (هجمت حركة الإتباع على حركة الإعراب فابتزتها موضعها) ولكن حركة الإتباع لو اتبعناها في الآية لألغى العطف تماما تماما .

لماذا نتمحل ونتحايل لنقول : إن : (وأرجلِكم) مجرورة لمجاورتها [1] كلمة (برءوسكم) حيث إن كسرة السين هنا يفصلها عن : (أرجلكم) الكاف والميم في الكلمة الأولى ، ثم واو العطف ، هي فاصل مهم وفي ذات الوقت هي حلت المسألة ، جرت الكلمة ، لأنها معطوفة على مجرور .

وبرغم شيوع هذا الرأي بالجر على المجاورة وكثرة من قال به ، فهو رأي ضعيف ومتهافت ومتهالك وكان أستاذنا الدكتور محمود قاسم ـ رحمه الله ـ يقول لنا في كلية دار العلوم عندما كان يدرس لنا المنطق ومناهج البحث هذي الكليمات التي لازلت أذكرها ، بل أحفظها عن ظهر قلب :

ليس شيوع الفكرة دليلا على صحتها ، بل على العكس كلما كانت الفكرة شائعة كانت خاطئة أو أقرب إلى الخطأ ؛ فإن أكثر الأفكار شيوعا أكثرها خطأ .

بقي معنا الرأي الأخير في إعراب كلمة (أرجلكم) وهو ما نفصله فيما يلي :

ثالثا ـ النصب : كانت قراءة النصب في الآية ، أي (فامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) هي قاصمة الظهر ، وثالثة الأثافي في توجيهها ، برغم سهولة توجيهها ، حيث إن الباء في (برءوسكم) حرف جر زائد ، أي تقدير الكلام : (وامسحوا رءوسكم) فكلمة (رءوس) منصوبة المحل والموضع والأصل والمعنى ، أو أصل المعنى ، وفي أصله ، ولذا جاءت قراءة النصب في (وأرجلكم) عطفا بالواو على محل المجرور بحرف جر زائد ، أو كما عبر العكبري [2] : (معطوف على موضع برءوسكم) .

هذا الأقرب والأصح ، بل الصح والصحيح والحق والحقيق ، أما الذي يُزعم ويذاع ويشاع بأن قراءة : (وأرجلكم) بالنصب معطوفة على : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) واغسلوا أيضا أرجلكم إلى الكعبين ، فهو يتأباه الذوق العربي السليم ، وقواعد العربية البسيطة البادهة .

وقد سألت نفسي أو ساءلتها : لماذا يحاول كثير من المؤلفين ـ ليس في الفقه فقط ـ بل في اللغة والمعاجم والقراءات ـ وتوجيهها ـ وفي إعراب القرآن والتفسير والسيرة .... إلخ ، لماذا يحاول هؤلاء جميعا

---

(1) ممن قال بهذا الرأي العكبري في إملاء ما من به الرحمن ، ٢٠٩/١ .
(2) السابق ٢٠٩/١ .

الانتصار لهذا الرأي الضعيف المتهافت ـ وحجته داحضة ـ على الحكم الأقوى ، أو القوي ، وحججه ناصعة صافية ومؤكدة ؟ .

فقيه بلدنا في مسقط رأسي كان يردد أمامنا عبارة (المغرب جوهرة فالتقطوها) يقول برغم أن بعض الناس والواعظين يحكونها على أنها حديث شريف ، وهي ليست كذلك بالتأكيد ، هي موضوعة ، إلا أنها تحث المرء على الإسراع إلى صلاة المغرب عقيب الأذان ، فإن حصة المغرب ـ أي وقته إلى العشاء ـ قصيرة جدا قياسا بالفروض الأخرى كالعشاء والظهر مثلا .

وعندما أمعنت النظر في حكاية أستاذي عرفت السر ، أو الطريق إلى فك هذا اللغز ؟ فرأيت أن وضع حديث للتعجيل بصلاة المغرب هو محاولة لإدحاض رأي بعض فقهاء المسلمين بجواز الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء في غير السفر ، أو في الحضر ، ومنهم الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ ولذا يسمى الظهر والعصر بالظهرين أو العصرين ، وكذا المغرب والعشاء بالمغربين أو العشاءين ، وقد فصل الشيخ سيد سابق ت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ـ رحمه الله ـ في كتابه ، ذائع الصيت (فقه السنة[1]) هذه المسألة نقتبس منه فقط هذي الحكاية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (خطب ابن عباس يوما بعد العصر ، حتى غربت الشمس ، وبدت النجوم) أي آن أوان صلاة المغرب (وجعل الناس يقولون : الصلاة الصلاة ، فجاء رجل من بني تيم لم يفتر ولم ينثن ينادي : الصلاة الصلاة ، فقال ابن عباس ؛ أتعلمني بالسنة ـ لا أم لك ـ ثم قال : رأيت رسول الله (ﷺ) جمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، وهم لم يكونوا في سفر .

راوي الحديث لم يطمئن إلى قول عبد الله بن عباس ، لقد حاك في صدره من ذلك شيء ، ولذا أتى صحابيا آخر هو أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ فسأله عما قال ابن عباس فصدق مقالته .

نعود لموضوعنا ، لماذا هذا الإصرار العجيب على غسل الأرجل وتمحل الأدلة وانتحالها ، لماذا كل هذا ؟ عرفت جزءا من السر فيما سبق ، والآن نسرد هذي الحكاية التي اجتزأناها من تفسير الإمام محمد بن جرير[2] الطبري ت ٣١٠هـ ، فما تقول هذي الحكاية ؟ :

قال موسى بن أنس لأنس : يا أبا حمزة ، إن الحجاج خطبنا بالأهواز ، فذكر الطهور ـ فمالكَ يا حجاج وما للطهور ؟ ـ فقال : اغسلوا وجوهكم ، وأيديكم ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم ، وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما ، فقال أنس : صدق الله ، وكذب الحجاج ، قال الله : وامسحوا برءوسكم وأرجلكم وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما .

وعن عكرمة قال : ليس على الرجلين غسل ، إنما فيهما المسح ، وعن الشعبي قال : نزل جبريل بالمسح ؛ ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلا ، ويلغي ما كان مسحا .

---

(1) ٢/٢٢٥-٢٣٢.
(2) جامع البيان في تفسير القرآن ٨٢/٦ .

ويلاحظ في الوضوء أيضا أن ما يغسل لا يمسح مكانه قط ، مهما ستر العضو المغسول ، فلا مسح على النقاب عند المرأة ، أو اللثام عند الرجل إذا سترا الوجه ، لا يمسح على الأكمام أو غيرها إذا سترت الأيدي ، على عكس الرأس حيث يمكن المسح على العمامة ، كما يمكن المسح على الجورب والخف .

ولكنها الدعاية السوداء تعمل عملها نحو سوق المسلمين إلى حتوفهم ، لتذبَّهم وتمنعهم من سلوك الطريق المستقيمة والرأي الصائب والاتجاه الصح والصحيح والحق والحقيق ، يحكي المستشار عبد الحليم الجندي في كتابه الفائق الإمام جعفر الصادق أنه لما دانت الدنيا لمعاوية ، قيل له : قد بلغت ما بلغت ، فلو كففت عن الرجل ؟ عن الإمام علي ـ كرم الله وجهه ، ونضر محياه ـ لكن معاوية أجاب : (لا والله ، حتى يربو عليها الصغير ، ويهرم الكبير) وقد تحقق له كثير مما خطط له ، ودفعت الأمة الثمن ، والثمن الأفدح والأخطر .

ولكن ما هي الأدلة التي ساقها أصحاب الرأي المُصَّر عليه بغسل القدمين :

١ـ حديث : (ويل للأعقاب من النار[1]) عن عبد الله بن عمرو قال : تخلف عنا النبي (ﷺ) في سفر سافرناه ، فأدركنا ، وقد حضرت صلاة العصر ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى : (ويل للأعقاب من النار) وفي رواية أخرى تضيف : (أسبغوا الوضوء[2]) فإذا عرفنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان عمره عند وفاته (ﷺ) ١٩ سنة ، ولم يك لعبد الله كبير ذكر في أحداث السيرة النبوية ، فإن هذي الرواية تجعل المرء يتحفظ كثيرا عند قراءتها .

هذا شيء ، والشيء الثاني أن الرواية تحتوي على عبارة أعتقد أنها لا تقبل من أقرب المقربين إلى سيد الخلق (ﷺ) ألا وهي : (تخلف عنا النبي في سفر سافرناه ...) فمن هذا الذي سبق النبي (ﷺ) أو من هؤلاء الذين سبقوا سيد الخلق ، وتخلف عنهم ؟؟ من يكون ، أو من يكونون؟ .

ومع هذا وبالرغم من كل هذا فإن هذي الرواية تثبت المسح ، وليس الغسل ، كيف انظر إلى العبارة : (فجعلنا نمسح على أرجلنا) هذا الضمير الذي يعود على جمع من الناس ، كثير بالتوكيد ، فهل ترون ـ قارئيَ الأكارم ـ أن سيد الخلق كان يسافر مع مجموعة قليلة من الناس في هذا السفر الغامض ، لابد أنهم عدد ضخم من الناس ـ تزعم الرواية أنهم كانوا آتين من مكة إلى المدينة ، من حج ؟ من عمرة ؟ من فتح مكة ؟ كل هذا غامض ، ومع هذا فإن هذا الجمع الذي يفترض أنه كبير وكبير جدا لا يمكن أن يخطئوا أجمعون أكتعون أبصعون ـ كلهم ـ كلهم يمكن أن يخطئوا ؟ مستحيل .

ومن الاستخفاف بالعقل أن يقال بأن معنى : (فجعلنا نمسح على أرجلنا) أي نغسلها[3] ، فالغسل غير المسح ، وإلا ما استعمل القرآن الفعلين :

---

(1) العمراني البيان في مذهب الإمام الشافعي ١٣٢/١ .
(2) مسلم ١٢٠/١
(3) مسلم : انظر ١٢٠/١ .

ـ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم .

ـ وامسحوا برءوسكم وأرجلكم .

على أي الأحوال فإنه على افتراض صحة الرواية وتماسكها أمام النقد والتدقيق فإنها لا تفيد الغسل ، كيف ؟ إذا نادى مناد / منادي ، أو نادى المصطفى (ﷺ) : (ويل للأعقاب من النار) فهذا لا يفيد بوجوب غسلها ، لأن كثيرا من الكفار والمنافقين تجد أعقابهم شديدة النظافة ، وهم حشو جهنم بلا شك .

ومن ناحية أخرى فإن عملية الطهارة والوضوء هي عملية رمزية بحتة ، قل لي بربك : الذي يمسح على عمامته أو على خمارها ، أو يمسح على الخفين أو على الجورب ، ترى هل نظف هذا المسح شيئا ؟ بل قل لي ـ بالله عليك ـ هل ينظف مسح التراب في التيمم شيئا من الوجه واليدين ؟ كلا ، إنها مسألة رمزية فقط .

ولذا تنتهي آية المائدة التي تحدثت عن الوضوء والطهارة والتيمم بقول الله تعالى : (مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ) أي في الطهارة (وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [1]) .

٢ ـ ومن الأدلة التي يسوقها مروجو غسل الأرجل فعل النبي (ﷺ) فمنه ما جاء في مسلم[2] : (عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري ـ وكانت له صحبة ـ قيل له توضأ وضوء رسول الله (ﷺ) فدعا بإناء ، فأكفأ منه على يديه فغسلهما ... ، ثم أدخل يده فاستخرجها ، فمضمض واستنشق من كف واحدة ... ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين ، ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه ... ثم غسل رجليه إلى الكعبين ، ثم قال : هكذا كان وضوء رسول الله (ﷺ)) .

والواقع أنا لا أدري كيف نترك فطاحل الصحابة ومشاهيرهم ، لنأخذ وضوء رسول الله (ﷺ) من رجل كل ما يعرف عنه (أنه كانت له صحبة) ولذا سننحي هذه الرواية جانبا لنأخذ براوية حبر الأمة ، عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما .

جاء في كتاب الإمام جعفر الصادق[3] : (يختلف الناس في أن مسح القدمين هو الفرض ، أو الغسل هو الفرض ، لأن رسول الله (ﷺ) توضأ ومسح على قدميه ... ومروي عن ابن عباس : ما صح عن رسول الله إلا غسلتان[4] ومسحتان) وهذي رواية أخرى عن رفاعة بن رافع : أنه كان جالسا عند النبي (ﷺ) فقال : (إنها لا تتم صلاة لأحد حتى يسبغ الوضوء ـ كما أمره الله ـ بغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين[5]) هذا إسباغ الوضوء ـ كما أمر الله تعالى ـ وكما نص سيد الخلق (ﷺ) وهناك رواية مهمة لا يصح إغفالها هنا أو التغاضي عنها ، إنها رواية سليمان بن مهران ، الأعمش ت ١٤٨ هـ ،لم تك

(1) ٦ المائدة .
(2) ١/ ١١٨ .
(3) المستشار عبد الحليم الجندي ، ص ٢٦٢
(4) وفي رواية أخرى : (ما أجد في كتاب الله إلا مسحتين وغسلتين) ـ مسند ابن حنبل ٦ ـ ٣٥٨ .
(5) سنن ابن ماجة : ١/ ١٥٦ ، حديث ٤٦٠ .

تأخذه في الله لومة لائم ، كان لا يُرى الأغنياء والسلاطين في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش برغم شدة حاجته وفقره ، ويكفي مما قيل في هذا الرجل : (منذ ولد الأعمش عز الإسلام) .

ناهيك أن هذي الرواية ترتفع إلى أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ـ نضر الله وجهه ـ ففي مسند ابن حنبل يقول الإمام علي : (كنت أرى أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما ، حتى رأيت رسول الله (ﷺ) يمسح ظاهرهما) الحديث رقم ٧٣٧ في مسند أحمد .

لا حظ عزيزي القارئ ، إن الإمام يقول : (كنت أرى باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما) هو يصرح (بالمسح) وليس الغسل ، ثم رأى رسول الله (ﷺ) يغسل ظاهرهما ؟ كلا ، كلا ، لقد رأى ابن عمه : (يمسح ظاهرهما) ولا يغسل ، هذا ما رآه أمير المؤمنين بأم عينيه ، فهل نصدقه ، هل هو أحق بالتصديق من رجل كانت له صحبة ؟ عزيزي القارئ ، أمعن النظر ، ثم أخبرني برأيك ، إن كنت ذا رأي .

ومرة أخرى مع حبر الأمة ، عبد الله بن عباس الذي لخص المسألة في قولته : (إن الناس أبوا إلا الغسل) أي الرجلين (ولا أجد في كتاب الله إلا المسح[1]) من ناحية أخرى فإنا نأخذ بهديه (ﷺ) ـ في أن الوضوء ـ غسلا ومسحا ـ مرة واحد ، فعن ابن عباس ، عن النبي (ﷺ) : (الوضوء مرة مرة[2]) .

وهكذا نجد تيسير الله للمؤمنين وهدي سيد الخلق في المسح على الأرجل ، وليس الغسل ، بل المسح على الخفين والجوربين ، ولكن الدعاية المضادة أبت إلا الإعنات على الأمة والتضييق عليها فيما وسعه الله .

بل والإسراف الشديد في الماء في عدة أمور ، منها أن الناس أو كثير منهم يصرون على أن الوضوء ثلاث مرات لكل عضو ، مسحا أو غسلا ، مع أن رواية ابن عباس وغيره أيضا تشير إلى أن محمدا توضأ مرة مرة ، وإن زاد عن هذا في بعض الروايات فربما كان هذا بقصد التعليم والإفهام .

ومن الإسراف ، أو من أهم وجوه مبالغة الناس في غسل أرجلهم خوفا من تحذير ويل للأعقاب من النار ، وقد سبق أن هذا إذا صح عن رسول الله فهو تحذير للناس من المعاصي ، وويل للأجسام التي تعصي ربها من النار ، وليس للأعقاب فقط .

لقد أدى هذا إلى إسراف شديد في ماء الوضوء ، خاصة في غسل الأرجل ، ورطرطة شديدة وبعثرة للماء ، وإعنات على المصلين ، ولو اتبعنا قرآننا وهدي نبينا ما وقعنا في هذا العنت .

وهذا ما تنبأ به سيد الخلق ؛ ومنه حذر وخوَّف :

١ـ مر رسول الله (ﷺ) بسعد بن أبي وقاص ـ وهو يتوضأ ـ فقال : (ما هذا السرف ؟) فقال سعد : أفي الوضوء سرف ؟ قال : (نعم ، وإن كنت على نهر جار[3]) .

---

(1) سنن ابن ماجة : ١/ ١٥٦ ، حديث رقم ٤٥٨ .
(2) الطبراني : المعجم الكبير ١٠/ ٣٣٢ ، حديث رقم ١٠٨٢١ .
(3) سنن ابن ماجة : ١/ ١٧٤ ، حديث رقم ٤٢٥ .

٢ـ عن أبي بن كعب ، قال رسول الله (ﷺ) : (إن للوضوء شيطانا يقال له وَلْهانا ، فاتقوا وسواس الماء[1]) .

٣ـ رأى رسول الله (ﷺ) رجلا يتوضأ ، فقال : (لا تسرف ، لا تسرف[2]) أي في الوضوء ، كررها مرتين، لا مرة واحدة .

والآن من خلال كل ما سبق نستطيع أن نقدم بعض النصائح كي نبعد عن الإسراف في الوضوء والحفاظ على الثروة المائية ، خاصة النظيف منها :

١ـ إنا نأخذ بهدي سيد الخلق (ﷺ) والذي نرى ملامحه وعناصره فيما يلي :

أ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : بت عند خالتي ميمونة ، فقام النبي (ﷺ) فتوضأ من شنة [3] ـ قربة صغيرة ـ يقلله) يقلل ماء الوضوء ، يقول ابن عباس : (فقمت فصنعت مثل ما صنع[4](ﷺ))

ب ـ وعن ابن عباس أيضا ، قال : (رأيت رسول الله (ﷺ) توضأ ـ غرفة غرفة[5]) .

جـ ـ وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : (رأيت رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك ، توضأ واحدة ، واحدة[6]) أي في الغسل والمسح كليهما ، فهدي المصطفى في الوضوء مرة واحدة لكل عضو .

ولكن ما تقول سيدي في هذا الحديث : (جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) فسأله عن الوضوء ، فأراه ثلاثا ، ثم قال : هذا الوضوء ، فمن زاد على هذا فقد أساء ، أو تعدى ، أو ظلم) .

أقول : انظر ـ عزيزي القارئ ـ إن المصطفى يعلم الأعرابي الذي لا سابقة لديه بالوضوء ، ومن ثم فإن سيد الخلق لا يتوضأ ، إنما هو في درس وشرح وتعليم لهذا الأعرابي ، احتاج منه التكرار والإعادة ، كما أن هذا الحديث أفاد شيئا مهما بالغ الأهمية أن هدي المصطفى في الوضوء غسلا ومسحا أن لا يزيد البتة عن ٣ مرات .

٢ـ ومن هذا الهدي النبوي الكريم ننصح بما يلي في الوضوء :

أ ـ المسح على الأرجل،وليس الغسل،هذا ما وجدناه في كتاب الله، وما صح من روايات عن هديه(ﷺ) .

ب ـ عدم الإسراف في استخدام الماء ، خاصة في غسل اليدين والوجه .

جـ ـ إن الحنفيات بشكلها الحالي وسيلة مهمة من وسائل الإسراف في الماء ، كما أن استخدام الناس لها من ناحية أخرى هو استخدام مسرف إلى حد كبير ، يتسبب عنه ضياع وهدر جزء كبير من المياه ، سيما النظيفة ، ولذا حبذا لو استخدم المتوضأ كوبا أو إناء صغيرا ، يأخذ الماء فيه من الحنفية ليتوضأ منه ، وقد رأيت هذا في نيجيريا ، إناء صغير من البلاستيك يعدونه للوضوء منه ، لقد كنت أسمع من بعض الكبار أن

---

(1) السابق ١/ ١٤٦ ، حديث ٤٢١ .
(2) السابق ١/ ١٤٧، حديث رقم ٤٢٤ .
(3) الشَنّ والشَنّة : القربة الخَلَق الصغيرة ، يكون الماء فيها أبرد من غيرها المعجم الوسيط ١/ ٥١٦ .
(4) سنن ابن ماجة . ١/ ١٤٧ ، حديث ٤٢٣ .
(5) السابق ١/ ١٤٣ .
(6) السابق ١/ ١٤٣ .

الوضوء من الحنفية مكروه ، وقد فهمت الآن هذا الرأي ، فإن الوضوء من هذي الحنفيات بشكلها الحالي يؤدي إلى مزيد من بعثرة الماء وهدره والإسراف الشديد فيه .

د ـ وحتى لو توضأنا من الحنفيات أو من غيرها ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، فإن علينا الإقتداء بهدي المصطفى (ﷺ) الذي شرحه ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لقد توضأ من قربة صغيرة ، توضأ وضوءا يقلله ، أي يقلل الماء فيه تقليلا .

هـ ـ وفي هديه (ﷺ) غرفة مرة واحدة لكل عضو ، خاصة الوجه واليدين ، ولا نزيد المسح أو الغسل عن مرة واحدة ، إلا إذا كانت حاجة ملحة أو ضرورة مثل التعليم ، وهنا الحد الأقصى المسموح به ثلاث ثلاث فقط ، لا يزدن بحال من الأحوال .

و ـ التوسع في المسح على الجوارب والخفين والعمامة ، وما في حكمهما تيسيرا على الناس ، وبعدا عن الإسراف المقيت في الوضوء .

ز ـ لقد دعونا في دراسة لنا سابقة للإفادة من ماء الوضوء الطاهر المطهر الطهور ، فلا يخلط بصرف الحمامات ، بما يرد عليها من بول وبراز ، بل يكون لماء الوضوء صرف خاص به ، مع حظر استخدام الصابون إلى حين اختراع صابون صديق للبيئة وللزراعة والأرض ، حيث يمكن استخدام ماء الوضوء من المساجد لري الحدائق أو الأشجار أو المساحات الخضراء ، أو إنزاله إلى القنوات المائية المستخدمة في الزراعة ، المهم إعادة استخدامه مرة أخرى ، حتى لو كان ماء زمزم من الحرمين الشريفين ، لماذا لا نعيد استخدام مياه الوضوء في الزراعة ، أو حتى في ري الأشجار غير المثمرة على الأقل ، أشجار الزينة أو الخشب ، وإعادة تدوير هذي المياه وكل شيء نستخدمه في حياتنا ، بدل أن نترك هاتيك المياه الطاهرة تختلط مع مياه المجاري .

ولله الأمر من قبل ومن بعد

له الحمد في الأولى والآخرة

والسلام عليكم ورحمة الله

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
جامعة المنصورة
www.geocities.com/abu_elkher
www.askzad.com
abu_elkher@yahoo.com